الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم التاريخ

الشيخ مُحَمَّد بن أبي القاسم المصعبي وآثاره العلمية والاجتماعية بوادي مزاب (1045-1129هـ/1635-1716م)

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر في التاريخ تخصص المغرب العربي الحديث

إعداد الطالبين:

أمسيرد مُحَمَّد

عوف عبد الهادي

إشراف الأستاذ:

د. ناصر بالحاج

أعضاء لجنة المناقشة

اللقب والاسم	الرتبة العلمية	الصفة
د.لكحل الشيخ	أستاذ محاضر أ	رئيسا
د.ناصر بالحاج	أستاذ التعليم العالي	مشرفا
د. دهمة بكار	أستاذ محاضر أ	مناقشا

السنة الجامعية : 1445 هـ/2023-2024م

قال الله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾سورة يوسف الآية (111).

وقال تعالى:﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ سورة العنكبوت الآية (69).

قال أيضا :﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾

سورالعنكبوت الآية (43).

صدق الله العظيم.

الإهـــــداء

إلى روح الشيخ مُحَّد بن أبي القاسم بن يحي الذي جاهد وناضل في سبيل إعلاء كلمة الدين.

إلى روح الجد تغمده الله برحمته الواسعة .

إلى الجدة بارك الله في عمرها وأمدها بالصحة والعافية .

إلى الوالدين بارك الله في عمرهما وأمدهما بالصحة والعافية .

إلى أخي سليم وأخواتي فائزة ونصيرة وأسماء وصفية و مامه حفظهم الله من كل سوء.

إلى كل عائلة آل عوف وآل بابكر صغيرا وكبيرا وأخص بالذكر أخوالي وخالاتي وبنات أخي أسيل وإكرام وأبناء أخواتي الحاج إبراهيم ،صالح ،عبدالنور، إيمان، وفاء، نسيم ،فارس، ندى إسراء ،محسن ،آلاء، عبدالفتاح ،أحمد أنجيم ، مريم ،أنسام .

إلى كل الأساتذة الذين تتلمذت على يدهم وكل من علمني حرفا،

فقد كانوا أسوة حسنة وخير قدوة.

إلى كل زملائي في الدراسة أو العمل مُحَّد ،يحي ،لقمان ،ادريس ،خضير ،حسان ،باحمد.

إلى روح مشايخنا الطاهرة الذين ضحوا بأنفسهم في سبيل تحقيق نهضة علمية وفكرية بوادي مزاب

إلى جميع المخلصين والغيورين والمحبين لهذا الوطن الغالي .

إلى جميع هؤلاء أهدي ثمرة هذا البحث العلمي ،راجيا من الله سبحانه وتعالى القبول والعفو عن التقصير إنه سميع مجيب.

عبدالهادي بن جمة عوف

إهـــــداء

إلى روح أمي و أبي اسأل الله تعالى لهما الرحمة والمغفرة ﴿ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾.

إلى زوجتي قرة عيني و أم أبنائي حفظها الله تعالى التي كانت نعم السند.

إلى أبنائي الأعزاء مريم و لطيفة و ياسمين وطه أبقاهم الله ذخراً .

إلى أحفادي بشرى و فردوس وأمين و صديق .

إلى أخواتي حفظهن الله و أزواجهن و أبنائهن جميعاً .

إلى عماتي وأخوالي وأبناء عمي حفظهم الله جميعاً.

إلى جميع أفراد عائلتي صغيراً وكبيراً .

إلى جميع الأصهار .

إلى عشيرتي آل يونس .

إلى كل أساتذتي و من اخذ بيدي لأخط أول حرف ،

منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا.

إلى من شجعني لإتمام مساري الدراسي بعد توقف دام أكثر من ربع قرن.

إلى جميع كل زملائي في العمل إدارة و أساتذة .

إلى كل أصدقائي في كل مكان.

إلى زميلي في انجاز هذا البحث عبد الهادي الذي كان نعم الرفيق .

إلى هؤلاء جميعاً أهدي ثمرة جهدي وعصارة فكري من خلال هذا البحث المتواضع وأسأل الله تعالى أن يجعله في ميزان حسناتي ويلهمنا الصواب ، ويغفر لنا زلاتنا إنه سميع الدعاء، والحمد لله رب العالمين.

محمد بن أحمد أمسيرد

شـــكـر وعـــرفـــان

قال الله تعالى :﴿ ...رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ سورة النمل الآية (19).

في البداية نحمد الله عز وجل أن وفقنا ويسر لنا السبل لإتمام إنجاز هذا العمل ، فما بكم من نعمة فمن الله.

ثم نشكر الأستاذ المشرف الدكتور بالحاج بن باحمد ناصر ،الذي تابع باهتمام كل مراحل هذا البحث ، منذ أن كان فكرة إلى أن رأى النور ، مستنيرين بنصائحه وتوجيهاته ، فله منا جزيل الشكر والعرفان .

نشكر جزيل الشكر الأساتذة الذين وفروا لنا من حر أوقاتهم ما أفادونا به من وثائق و أفكار ومعلومات في موضوع البحث ونخص بالذكر : الأساتذة بشير الحاج موسى و إلياس بابانجار .

ونثني بالشكر الجزيل للقائمين على مكتبة الشيخ عمي سعيد و مكتبة جمعية أبي إسحاق اطفيش لخدمة التراث بفتحهم أبوابهم لنا و توفيرهم متطلبات بحثنا .

كما لا ننسى أن نشكر أساتذة كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية بجامعة غرداية و نخص منهم أساتذة قسم التاريخ ، وإلى كل من قدم لنا رأياً أو أسدى إلينا نصحا أو نقدا بناء لينير لنا درب البحث ولو بكلمة طيبة مشجعة.

وأخيرا نتقدم بالشكر و العرفان لكل من ساعدنا على إتمام هذا البحث من قريب أو بعيد، فلكل هؤلاء ندعوا الله تعالى أن يجزيهم خير الجزاء وأن يوفقهم ويسدد خطاهم .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

قائمة المختصرات الواردة في البحث

العربية	
الرمز	المعنى
و	ولد
ت	توفي
تح	تحقيق
ر ف	الرقم في الفهرس
ج	جزء
ص	صفحة
ط	الطبعة
ق	قرن
م	ميلادي
هـ	هجري
مخ	مخطوط
د.نا	دون ناسخ
د.ت	دون تاريخ نشر
ج.أ.إ.ط.خ.ت	جمعية أبي إسحاق اطفيش لخدمة التراث
م.ش.ع.س	مؤسسة الشيخ عمي سعيد
مج	مجلد
مغ.و	مغربي واضح مقروء
خ	الخزانة
تع	تعليق
الأجنبية	
الرمز	المعنى
Page	P
Ouvrag Précédement cite	Op.cit
Edition	Ed

المقدمة

تمهيد:

إن التاريخ في حقيقته هو الإنسان و تفاعله مع بيئته عبر مسار خط الزمن ، و الغاية من دراسته هو استنباط العبر لتقويم مساره و تطوير أدائه و حفظ وجوده .

إن مما لاشك فيه أن دراسة تاريخ التجمعات البشرية من شعوب وأمم و قبائل لا تكتمل فصولها ولا تتضح صورتها دون التعرف على طائفة من رجالاتها الفاعلين و المتفاعلين مع مجتمعاتهم وهم الحاملين لراية العلم والتعمير فيها، لقوله تعالى : ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ سورة التوبة الآية (122)، فمن هنا جاء اهتمام علماء المسلمين قديماً و حديثاً بعلم السير و التراجم ، وهو ما يَنِمُّ عن إدراكهم القوي لأهميتها ،فأفردوا لها كتباً و دواوين و مجلدات ،فحققوا في ذلك دراسات قديمة و أنجزوا أخرى حديثة وضبطوا له مناهج و طرقاً توجه الدَّارس لبلوغ أهدافه و غاياته.

في هذا الإطار سعينا في بحثنا هذا إلى التعريف بشخصية علمية، اجتماعية وتِبيان آثارها فعنونا بحثنا بـ :"الشيخ مُحَمَّد بن أبي القاسم المصعبي وآثاره العلمية والاجتماعية بوادي مزاب (1045_1129هـ/1635-1716م) "وقد تقدمنا به لإتمام متطلبات نيل شهادة الماستر في تخصص تاريخ المغرب العربي الحديث.

فالشيخ مُحَمَّد بن ابي القاسم مسلم الديانة إباضي المذهب جزائري الجنسية مزابي الانتماء ، نشأ في بيئة صحراوية جنوب الجزائر وبالضبط في منطقة وادي مزاب ، عاش ما بين منتصف القرن 11هـ والنصف الأول من القرن 12 هـ أي خلال النصف الأول من القرن 17 م و بداية القرن 18م ، حاولنا التقيد بهذا الإطار الزمني الذي يمثل فترة حياته ، مع التطرق إلى ما قبلها و ما بعدها حسب ما تقتضيه العناصر التي نحتاجها خارج ذلك الإطار خدمة للموضوع.

إن صفة المشيخة المرتبطة باسم مُحَمَّد تعبر عن المكانة العلمية و الاجتماعية لمحمد بن أبي القاسم لذلك فقد أوردناها ضمن العنوان من البداية و اعتمدنا في ذلك على ما ورد في الكثير من الوثائق المخطوطة التي تشير إلى هذه الصفة ، أما المصعبي فنسبة إلى بني مصعب أو بني مزاب و هي القبيلة التي ينتمي إليها الشيخ مُحَمَّد وسنفصل في ذلك لا حقاً ، أما وادي مزاب فهي إشارة لمنطقة

النشأة والنشاط وهي بادية بني مصعب التي يميزها الوادي الذي حمل اسم ساكنيه حيث نشأت على جوانبه مدناً و قرى .

أهداف البحث :

من أهداف اختيارنا لهذا الموضوع محاولة الكشف عن مصدر مغمور ليضاف إلى رصيد ما تُقدمه الجزائر و مزاب من شخصيات وأعلام ساهموا ببصماتهم في الفعل الحضاري ، ذلك بإبراز إنتاجه و آثاره العلمية المختلفة من خلال ما تحويه خزائن وادي مزاب من مخطوطات تنسب إليه و أخرى نسخت له وكذا ابراز نشاطه الاجتماعي و العمراني .

–كما نسعى إلى إبراز دور التنظيمات الاجتماعية في تكوين الفرد والحفاظ على القيم الدينية و الاجتماعية التي تضمن تماسك الأفراد و تطور المجتمع .

–محاولة الوصول إلى ما تركه الشيخ في العلوم الشرعية واللغة العربية و فنون أخرى ، من خلال عملية إحصاء المخطوطات التي تتوزع في أكثر خزائن وادي مزاب، ثم عرض بعض النماذج منها ، لغرض التعريف بمحتواها و تحفيز المهتمين بالغوص أكثر فيها و استخلاص مكنوناتها .

–محاولة الكشف عن سر براعة الشيخ مُحَّد بن أبي القاسم في تطوير نظام فريد من نوعه في تقسيم مياه السيول على أجنة واحات قصر غرداية .

–دراسة نقدية لبعض العادات و المناسبات القديمة و استنباط القيم الأخلاقية و الحضارية منها .

دوافع اختيار الموضوع :

إن اختيارنا لموضوع هذا البحث و التنقيب في جوانب هذه الشخصية لم يكن من قبيل الصدفة بل لقد دفعتنا لذلك عدة عوامل منها ذاتية و أخرى موضوعية نذكرها على التوالي:

الدوافع الذاتية:

–نعتقد أنه من واجبنا ونحن من أبناء هذه المنطقة أن نكشف من خلال دراسات علمية عن علمائها خاصة المغمورين منهم .

-نردد منذ أن كنا صغاراً عبارات نبتهج لها و نكررها في مناسبات مثل عند هطول الأمطار أو في فرح وغيرها تحمل اسم شخصية البحث بالصيغة الشعبية المعروف بها وهي " دَادِيكْ حمو والحاج " لكن لم نكن ندرك مدلولها التاريخي ، ولا مكانتها العلمية مما دفعنا إلى البحث عن حقيقة هذا العلم.

-محاولة إبراز شخصية من شخصيات عشيرتنا آل يونس التي ينتمي إليها الشيخ.

-حصولي على الجائزة الأولى في بحث مدرسي في المستوى الابتدائي ، حول نظام تقاسيم المياه بالواحة مما حركت في الرغبة والشغف للتعرف أكثر بالشخصية.

-اِقترح علينا الأستاذ إلياس بابا نجار الباحث في التاريخ المتخصص في النسخ و النُّسّاخ ، أن نفرد للشيخ مُحَّد بن أبي القاسم بحثاً ، مما وجد فينا من دافعية لتحقيق ذلك .

الدوافع الموضوعية :

-خلو الساحة الأكاديمية من دراسة تخص الشيخ مُحَّد بن أبي القاسم رغم شهرته محلياً، كان دافعاً قوياً لتخصيص حيزاً له في هذا المضمار.

-معرفتنا للشيخ مُحَّد بن أبي القاسم أو الشيخ حمو والحاج محصورة في جوانب محدودة مما تركه من آثار في الجانب العمراني "نظام تقاسيم المياه السيول " أو الاجتماعي من خلال المناسبات الدينية والاجتماعية، دفعتنا إلى البحث في ما خلف من آثار علمية في مجالات المعرفة المتنوعة.

إشكالية البحث:

إن من الوفاء للخلف وجهودهم ،ومن تمام تبليغ أمانتهم للسلف ، إحياء ذكراهم بإخراج مكنوناتهم من بطون المخطوطات المنسية في رفوف الخزائن ، بدراستها وتبيانها للمهتمين و المختصين في مجال التحقيق ، وهذا ما نسعى إليه من خلال هذا البحث الذي أسسناه على عنصرين رئيسين هما: التعريف بالشخصية ثم بآثارها ، فانطلاقاً مما ذكرناه من أهداف الدراسة و مما كان دافعاً لتحقيقها فإن ذلك يفرض علينا ضبط الموضوع للوصول إلى غاياته من خلال طرح إشكال أساسي متمثلا في السؤال التالي:

-ما هي إسهامات الشيخ مُحَّد بن أبي القاسم العلمية و الاجتماعية بوادي مزاب ؟

وقد قسمنا هذه الإشكالية إلى خمسة أسئلة فرعية و هي :

-من هو الشيخ مُحَّد بن ابي القاسم ؟

-ما هي الظروف الاجتماعية والأسرية التي ساهمت في تكوينه العلمي؟

-ما هي الوظائف المهام التي تولاها ؟

-ما هي آثاره العلمية و العمرانية و الاجتماعية التي خلفها ؟

-كيف توصل إلى الجمع بين الدور الديني والاجتماعي في قيادته للمجتمع ؟

المنهج المعتمد :

للإجابة على هذه الأسئلة اعتمدنا على عدة مناهج تاريخية من خلال تتبعنا لأهم المحطات التاريخية لمنطقة وادي مزاب و كذلك تتبعنا لمراحل حياة الشيخ مُحَّد بن ابي القاسم و قد استعنا على ذلك بـ:

-المنهج الوصفي الذي من خلاله تطرقنا إلى وصف المظاهر الجغرافية والمناخية لوادي مزاب ، وكما تطرقنا إلى وصف المصادر و الأصول التاريخية التي تركها الشيخ وكذا وصف بعض المناسبات الدينية والاجتماعية والمنجزات العمرانية .

-المنهج التحليلي الذي اعتمدنا عليه من خلال جمع آثار الشيخ في جداول وتحليل محتواها و كذا تحليل محتوى بعضها ، كما استعملنا هذا المنهج لاستخلاص قيم اجتماعية وسلوكية من بعض المناسبات .

خطة البحث :

قسمنا بحثنا الموسوم بـ:" الشيخ مُحَّد بن أبي القاسم المصعبي وآثاره العلمية والاجتماعية بوادي مزاب (1045_1129هـ/1635-1716م)" وفق خطة مكونة من مقدمة وثلاثة فصول في كل فصل ثلاثة مباحث وخاتمة .

الفصل الأول عنوانه: "حياة الشيخ مُحَّد بن أبي القاسم المصعبي "حيث تطرقنا في المبحث الأول الى تعريف شامل عن وادي مزاب من حيث الإطار الجغرافي والتاريخي ثم الحياة العلمية في القرنين

18/17م مع التطرق إلى دور هيئة العزابة وحلق التعليم في تلقين العلوم إضافة إلى ذكر أبرز علماء تلك الفترة، وفي المبحث الثاني تطرقنا إلى مولده ونسبه ثم وفاته ،أما في المبحث الثالث تطرقنا إلى حياته العلمية .

الفصل الثاني عنوانه :"الآثار العلمية للشيخ مُحَمَّد بن أبي القاسم المصعبي" حيث تطرقنا في مبحثه الأول إلى تلاميذه و في المبحث الثاني فقد تطرقنا إلى ما أنتجه في مجال الشريعة وعلومها وما نَسَخَ عن غيره ثم ما نَسَخَ عنه النُسَّاخ، وفي المبحث الثالث عرفنا إنتاجه العلمي في مجال اللغة والفنون الأخرى وما نَسَخَ عن غيره ثم ما نَسَخَ عنه النُسَّاخ .

الفصل الثالث عنوانه: "الآثار الاجتماعية والعمرانية للشيخ مُحَمَّد بن أبي القاسم" ، فقد تطرقنا في المبحث الأول إلى مهامه الدينية المتمثلة في الإفتاء ثم تقلُّده لمنصب مشيخة البلد إضافةً لدوره الاجتماعي في الإصلاح و التصدي لإخماد الفتن الداخلية و التهديدات الخارجية ثم بعدها تحدثنا في المبحث الثاني عن لمسة الشيخ الإبداعية في الجانب العمراني و بالضبط في مجال تطوير نظام تقاسيم مياه السيول و في المبحث الثالث والأخير عرّفنا فيه مناسبات وعادات قائمة تُخلِدُ ذكرى الشيخ والقيم الاجتماعية من ورائها.وأنهينا بحثنا بخاتمة استعرضنا خلالها أهم النتائج المتوصل إليها في فصول هذه الدراسة .

الدراسات السابقة :

من بين أهم الدراسات السابقة نذكر:

بشير الحاج موسى ، نحو دراسة حياة وآثار الشيخ مُحَمَّد بن ابي القاسم بن يحي المصعبي الغرداوي ، وهو المؤلف الوحيد الذي تحدث فيه عن شخصية البحث هو اجتهاد يشكر عليه الأستاذ رغم صغر حجمه وقلة صفحاته 45 ص ، لكنه مفيد في كامل فصول بحثنا ، لما يحمله من معلومات قيمة وما زاده قيمة هو اعتماد الباحث على المصادر المخطوطة بعد نقدها و تحليل محتواها و استنتاجات مفيدة .

بالحاج ناصر، النظم والقوانين العرفية بوادي مزاب في الفترة الحديثة فيما بين القرنين (9-13هـ/15-19م). وهذه الدراسة الأكاديمية تعد ركيزة أساسية في بحثنا خاصة ما تعلق بالجانب التنظيمات و القوانين العرفية في مجال تقسيم مياه السيول .

إبراهيم زدك :الحركة العلمية في منطقة وادي ميزاب ما بين القرنين (10-13هـ/16-19) دراسة مهمة في باب الحركة العلمية بمنطقة وادي مزاب حيث استفدنا منها خاصة في الفصل الأول و الثاني حينما عرفنا الحركة العلمية بوادي مزاب خلال القرنين 17و18 م.

الدراسات النقدية للمصادر والمراجع :

من بين أهم المصادر التي استعنا بها في هذه الدراسة هي:

تاريخ ابن خلدون في جزئه السابع ولا يمكن الاستغناء عن مثل هذا المصدر في الدراسات التاريخية، فقد استفدنا منه في الفصل الأول خاصة المبحث الأول ، فهو مصدر في أصول أسماء القبائل الشعوب الأماكن .

كتاب طبقات المشايخ لأحمد بن سعيد الدرجيني (ت:670هـ) الذي أفادنا في معرفة النظام التعليمي السائد بوادي مزاب خلال الفترة الحديثة ،بالإضافة إلى ما قدم من معلومات حول نظام هيئة العزابة ودورها الاجتماعي .

كتاب وصف افريقيا لحسن الوزان فقد أخذنا منه معلومات عن موقع منطقة وادي مزاب.

ومن المراجع المحلية المعتمدة ملحق سير الشماخي للشيخ إبراهيم أبو اليقظان في جزئه الأول رغم انه مخطوط و يحتاج إلى تحقيق واختصاره في ذكر بعض المعلومات الهامة إلاّ أننا استفدنا منه في ترجمة الشيخ مُحَّد بن ابي القاسم وبعض تلاميذه وبعض أعماله .

كما اعتمدنا في جرد مخطوطات آثار الشيخ مُحَّد بن ابي القاسم على العديد من فهارس خزائن المكتبات المنجزة من قبل هيئات وجمعيات و عشائر و أهمها :

- الفهارس المنجزة من قبل مؤسسة الشيخ عمي سعيد بغرداية.
- الفهارس المنجزة من قبل جمعية الشيخ ابي اسحاق اطفيش لخدمة التراث بغرداية .
- الفهرس المنجز من قبل مكتبة الشيخ صالح لعلي (لخزانة الشيخ صالح لعلي) بني يسجن .
- الفهرس المنجز من قبل عشيرة آل مْحمد (لخزانة الاستقامة الثانية) ببني يسجن.

و من المراجع الهامة التي أفادتنا في مختلف فصول البحث نذكر:

مجموعة مؤلفين ،معجم أعلام الإباضية قسم المغرب. وهو من المراجع الهامة التي أفادتنا في كامل فصول البحث في تعريف الشخصيات التاريخية ذات العلاقة بالبحث .

يوسف بن بكير الحاج سعيد ، تاريخ بني مزاب دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية من المراجع الهامة التي يحوي معلومات و حقائق مُشفّعة بالأرقام و التواريخ و الأعلام عن تاريخ منطقة مزاب .

بكير بن سعيد أعوشت ، وادي ميزاب في ظل الحضارة الإسلامية ، تناول صاحبه فيه جوانب عديدة عن تاريخ وادي مزاب و هيئاته .

قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج، معالم النهضة الإصلاحية عند اباضية الجزائر، الذي استفدنا في جزئية علاقة وادي مزاب بالدولة العثمانية في فترة تواجدها بالجزائر.

كما أفادتني مجموعة من الرسائل الجامعية نذكر منها :

الياس بابانجار، النسخ والنساخ بوادي مزاب خلال الفترة الحديثة، حيث استفدنا منها في جزئية المنسوخات الخاصة بالشيخ مُحَّد بن ابي القاسم .

حمو بن زكري ،منشآت الري التقليدية بمنطقة وادي مزاب قصر غرداية نموذجا، دراسة أكاديمية في بابها أفادتنا في تعريفات نظام تقاسيم المياه خاصة بقصر غرداية .

يوسف خنفر ،شرح الأجرومية تأليف أبي القاسم بن يحي بن أبي القاسم الغرداوي المصعبي (ت 1102هـ) تحقيق ودراسة، وهي الدراسة الأكاديمية الوحيدة التي نقول عنها قريبة من بحثنا في كون المقصود هنا هو والدا الشيخ مُحَّد بن ابي القاسم في شرحه لقصيدة الأجرومية في اللغة العربية استفدنا منها في الفصل الثاني .

صعوبات البحث :

لقد واجهتنا خلال مسيرتنا البحثية العديد من الصعوبات نجملها فيما يلي:

-خلو الساحة الأكاديمية من دراسة عن حياة و آثار شخصية البحث.

-اعترضتنا عقبات خلال عملية مسح فهارس مؤلفات و منسوخات الشيخ ، لاحتوائها على رموز خاصة بكل خزانة مما تتطلب تشفيرها تدخل المشرفين على المكتبة و كذا إشكالية تعدد النسخ أيهما الأقدم لخلو أغلبها من تاريخ النسخ ، وهو ما استنزف منا وقت ليس بالقليل .

-صعوبة التعامل مع المخطوط التي نعتبرها المادة الأساسية في البحث، فنجد فيها المبتور الأول أو الآخر أو الوسط ،كما نجد في الصفحة الواحدة تآكل أجزاء منها بفعل الزمن .

-صعوبة قراءة بعض الخطوط ، وكذا ورود عبارات و تراكيب لغوية صعبة الفهم ،كما أن بعض المخطوطات احتوت نصوصها النثرية أو الشعرية على عدة مواضيع في مختلف الفنون .

-ضيق الوقت واتساع الموضوع .

-عدم توفر مادة كافية للإحاطة بكافة فصول الدراسة مما تطلب منا التعامل المستمر مع المخطوط لاستنباط الأفكار و ربطها ببعضها لتركيب صورة واضحة عن الموضوع .

رغم كل ذلك سعينا لرفع التحدي و تخطي تلك العقبات، بالاستعانة بأهل الاختصاص من مشرفي المكتبات و كذا محققِي المخطوطات .

في الأخير نرجو أننا قد وفقنا لتحقيق الهدف من عملنا هذا وقمنا بما يمليه علينا واجب البحث والتقصي عن المعلومة الصحيحة ملتزمين قدر المستطاع مبدأ الموضوعية ، ونحن نعتقد في كل ذلك أن عملنا لا يخلو من النقائص و الهفوات وهو جهد بشري ، ونحن على أتم الاستعداد لإثراء العمل نحو الأفضل، فالموضوع بكر ولا زال يحتاج إلى دراسات مكملة ومعمقة ، و أملنا أن يكون هذا العمل إضافة جادة للمعرفة الإنسانية و للتاريخ الوطني و المحلي .

ولا ننسى في الأخير أن نتقدم بالشكر الجزيل والدعاء الخالص لكل من مد إلينا يد العون من قريب أو بعيد، ونخص بالذكر الأستاذ المشرف الذي لم يبخل علينا بنصائحه القيمة ومرافقته الدائمة لبحثنا وتوجيهاته و تصويباته الدقيقة ، حتى يخرج هذا العمل في أحسن حلة و أقرب إلى الصواب، والشكر موصول أيضا إلى أعضاء لجنة المناقشة التي سهرت و صرفت من جهدها و وقتها لدراسة البحث و تقييد تصويباته لنستفيد منها فبارك الله في جهود الجميع.

وفوق كل ذلك نحمد الله تعالى على توفيقه وتسهيله الأسباب لنا ، لننهي هذا الجهد المتواضع وما توفيقنا إلا بالله عليه توكلنا وإليه ننيب .

الفصل الأول :حياة الشيخ مُحَمَّد بن أبي القاسم المصعبي .

المبحث الأول :وادي مزاب ما بين القرنين (11–12هـ/17–18م).

المبحث الثاني : مولده ،نسبه ، وفاته.

المبحث الثالث: حياته العلمية .

الفصل الأول: حياة الشيخ مُحَّد بن أبي القاسم المصعبي .

المبحث الأول : وادي مزاب ما بين القرنين (11-12هـ/17-18م).

1-الإطار الطبيعي والجغرافي لمنطقة وادي مزاب:

أ- الموقع الفلكي والجغرافي :

تقع منطقة وادي مزاب فلكيا ما بين خطي عرض32 °و33.20 ° شمالا ،وبين خطي طول 3°شمالا إلى 4° [1]،تقع منطقة وادي مزاب أو ما يعرف ببلاد الشبكة [2]في منطقة صحراوية في شمال صحراء الجزائر وتتميز عن المناطق المجاورة بقساوة طبيعتها الجغرافية والمناخية [3]، وهي تبعد عن مدينة الجزائر العاصمة حاليا مسافة 600 كلم[4] .

يحد بلاد مزاب من الشمال الشرقي الأغواط منطقة الضايات وصحراء أولاد نايل ومن الشرق واحات حجيرة و لعلية وغيرها ،ومن الغرب وادي زرقون ومن الجنوب واحة ورجلان ،وتوجد منطقة الشبكة على ارتفاعات متفاوتة معدلها 515 متر من سطح البحر ، تتخللها شبكة من الأودية [5]الرئيسية أهمها: وادي مزاب وروافده الذي يبلغ طوله حوالي 320كلم [6]،ووادي بالوح ، ووادي متليلي ،ووادي نْسا[7] ،ووادي زقرير.[8]وتتجه هذه الأودية كلها من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي لتنتهي عند بحيرة تكتنفها الرمال شمال غرب ورقلة [9]،وأغلب مياه الأمطار مع

---

[1] يحي بوراس :العمارة الدفاعية في منطقة وادي مزاب، نموذج قصر بني يزقن ،رسالة ماجيستير ،جامعة الجزائر قسم الآثار ،2001-2002م،ص01.

[2] بلاد الشبكة أطلق على هذه المنطقة الصخرية ذات الطبيعة الكلسية الصلبة التي تعرضت عبر مختلف الأزمنة الجيولوجية الى عملية حت ،بفعل تأثير العوامل التعرية نتج عنها ظهور عدد كبير من الأودية والشعاب المتشابكة وهي ما أعطاها اسم الشبكة ،للمزيد ينظر: Coÿne A.: Le Mzab/In/ R.A., V23, 1879

[3] يوسف الحاج سعيد :تاريخ بني مزاب دراسة اجتماعية واقتصادية ،المطبعة العربية ،ط3،غرداية ،2017م،ص1.

[4] أنظر الملحق رقم 01.

[5] أنظر الملحق رقم 02.

[6] بالحاج ناصر:النظم والقوانين العرفية بوادي مزاب في الفترة الحديثة ،نشر جمعية التراث ،الجزائر ،2018م،ص 30.

[7] "سَا "باللغة المزابية تعني رقم 07 باللغة العربية ويضاف النون للنسبة ونقول وادي نسا أي واد السبعة .

[8] مُحَّد علي دبوز ،نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة ،ج1،ط1،المطبعة التعاونية ،الجزائر،1965م، ص 160.

[9] يوسف الحاج سعيد :المرجع السابق ، ص01.

قلتها ببلاد الشبكة[1] كانت تضيع في الصحراء بعيدة عن استغلالها من طرف سكان مزاب الذين هم بحاجة ماسة إليها .

ب- المناخ:

درجات الحرارة :ان وادي مزاب يسوده المناخ الصحراوي الجاف الذي يتميز بقلة الرطوبة و مدى حراري واسع بين الليل والنهار يقارب 17.6° [2]وحرارة مرتفعة صيفا تصل الى حدود 50° 50° وبرودة شديدة شتاء تصل الى حدود 0° درجة مئوية ومن العوامل التي تزيد من ارتفاع درجات الحرارة في المنطقة طبيعة الهضبات الصخرية المحيطة بالوادي .

الرياح والرطوبة :ان الرياح التي تأتي عادة من الجنوب و الجنوب الشرقي صيفا تكون حارة وجافة وعادة ما تكون محملة بالرمال وأما شتاءًا فتكون باردة شمالية محملة بنسبة من الرطوبة ، ومما يميز المناخ الصحراوي إضافة لما ذكر أعلاه انخفاض لافت في درجات الرطوبة تبلغ 24 % بين شهري ماي وسبتمبر [3]،وذلك يعود بالدرجة الأولى الى انعدام المسطحات المائية من بحيرات وأنهار وأنهار ،وارتفاع لدرجات الحرارة صيفا أما في الشتاء فبسبب انخفاض درجات الحرارة فإن الرطوبة ترتفع نسبيا لتصل الى 42 %بين شهري أكتوبر و أفريل[4] مقارنة بفصل الصيف[5].

الأمطار : تساقط الامطار بالمنطقة قليلة جدا ، تتراوح ما بين 10الى 50 ملم سنويا وقد ينعدم تساقط الأمطار لسنوات فلا تتجاوز نسبتها 20 الى 30 ملم فقط خلال مدة 3 أو 4 سنوات أي بمعدل اقل من 18 ملم في السنة [6]،كما أن هذا التساقط رغم قلته فإنه لن ينجر عنه سيل ذو ذو قيمة، كما يذكر موتيلانسكي في إحصائيات متوفرة لديه عن سيلان وادي مزاب فيقول :" ففي الفترة الممتدة ما بين سنتي 1728 و 1882 لم تسجل سوى 12 حملة لوادي مزاب أي

[1] Claude Pavard ,Lumiéres du Mzab ,ed: Delroisse , Algerie ,1974,p68.

[2] يحي بوراس: المرجع السابق، ص4.

[3] بالحاج ناصر: المرجع السابق، ص295.

[4] نفسه ،ص 295.

[5] عمر زعابة :آليات وطرق حفظ وتسيير تراث المبني في وادي مزاب، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ والآثار ،جامعة أبي بكر بالقايد ، تلمسان ،الجزائر ،2016م، ص ص 65-66.

[6] يحي بوراس :المرجع السابق، ص 4.

بمعدل مرة واحدة كل 12سنة "[1]،فتصاب المنطقة بموجة جفاف حادة مثل ما حدث في سنوات 1868م،1920م ،1944م، وعلى النقيض من ذلك فإن المنطقة قد عرفت فيضانات مفاجئة و خطيرة جدا فأهلكت الأخضر واليابس كما حدث في السنوات فيضان مساح[2]1901 ،فيضان 1914،و آخرها 01أكتوبر 2008 [3]،وقد سجلت نسبة التساقط في اقصى السنوات الماطرة نسبة 120.5ملم [4].

2- الجانب التاريخ والحضاري :

شهدت منطقة وادي مزاب عبر تاريخها فترات و محطات حضارية متنوعة ، وما ميز هذه المنطقة عبر تاريخها الطويل الضارب في القدم هو تلك المخلفات الأثرية المتنوعة المادية و الآمادية ، رغم ما شهده انسان تلك المنطقة من صنوف قساوة الطبيعية منها والبشرية ،إلا أنه استطاع وببراعة و عبقرية و حكمة التعامل معها والتكيف مع مختلف الظروف وهو ما يدفعنا الى البحث في أصول سكان هذه المنطقة مرورا بالفترات التاريخية للمنطقة .

أصل سكان وادي مزاب :

إن عددا من دراسات المتقدمين والمتأخرين من المهتمين لتاريخ منطقة وادي مزاب، تذكر أن أصل تسمية بني مزاب تعود إلى قبيلة بني مصعب التي عمرت هذه المنطقة القديمة و هي إحدى فروع قبيلة زناتة البربرية ، حيث يشير عبد الرحمن بن خلدون أن أصل تسمية وادي مزاب " من بني واسين هؤلاء من قصور مصاب على خمس مراحل من جبل تيطري في القبلة كما دون الرمال على ثلاث مراحل من قصور بني ريغة في المغرب ، وهذا الاسم اسم للقوم الذين اختطوها و نزلوها من شعوب بني بادين (...) ، وضعوها في ارض حرة على آكام و ضراب ممتنعة في قننها ، وبينها وبين الأرض الحجرة المعروف بالحمادة في سمت العرق متوسطة فيه قبالة تلك البلاد فراسخ في ناحية القبلة ،وسكانها لهذا العهد شعوب بني بادين من بني عبد الواد وبني توجين و مصاب وبني زردال فيمن يضاف إليهم من شعوب زناتة ، و إن كانت شهرتها مختصة بمصاب "[5]، ويذكر مبارك

---

[1] ناصر بلحاج: المرجع السابق ،ص 297.

[2] هو ذلك السيل القوي الجارف يطلق عليه محليا مساح.

[3] عمر زعابة :المرجع السابق، ص 64.

[4] يحي بوراس :المرجع السابق ،ص 4.

[5] عبد الرحمن بن خلدون :كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، بيت الأفكار الدولية ،عمان-الأردن ،د.ت، ص 1835.

مبارك الميلي عن نسب بني مزاب :" ومن افخاذ بادين مصاب بالوطن المعروف بهم ، المدعو اليوم مزاب ، والزاي والصاد متقاربان (...) وبنو عبد الواد الذين بمزاب من بني مطهر بنوا يمل بنو يزقن بن القاسم وقال أبو راس الناصري بمزاب لماية و اخلاط من صنهاجة وغيرهم "[1].

ويرى الشيخ عبد الرحمن بكلي المهتم بالتاريخ أن " سكان مزاب الأصليين من قبيلة بني مصعب البربرية ، فرع زناتة العظيمة "، ويذكر علي يحي معمر في اصل التسمية ما نصه :"ويبدو لي أن التسمية الأصلية لهذه الأرض هي بادية بني مصعب ، لأن بني مصعب هم الذين كانوا يعمرون هذه المنطقة و ينتقلون بين أجزائها ،فكانت لهم منتجعاً و مرتعاً "[2]، ويقول مُحَمَّد سعيد كعباش :" وبما أن المجتمع الإباضي لم يقم على الانتماء العرقي ،فإنه من الطبيعي أن ينصهر في بوتقته عناصر بشرية أخرى من مختلف الأجناس(...) فهناك عناصر عربية ،أعجمية وزنجية وغيرها نزحت الى المنطقة واندمجت في المجتمع المزابي من أقدم العصور ،وبما أن الطابع الأغلب للمجتمع هو البربرية فقد اكتسى الكل ذلك الطابع "[3].

ضبط مصطلح مصعب ومزاب :

مما لاشك فيه أن الكتب التاريخية القديمة هي التي تحدد لنا الدلالات اللغوية والتحولات الشكلية لكلمة مصعب التي وردت في اكثر من مرة في عدة مؤلفات منها ما أورده أبو زكرياء يحي بن ابي بكر المتوفى سنة 471هـ حيث قال في كتابه :"وكان الشيخ يُشتي في أريغ ،ويربع في البراري عند بني مصعب وغيرهم وكانوا اذ ذاك واصلية ،فرد بعضهم الى الوهبية "[4] ،كما وردت كلمة بني مصعب عند ابي العباس احمد بن سعيد الدرجيني في كتابه حيث قال :"ما بلغنا أن أبا عبد الله كان يخرج للحلقة في أوان الربيع إلى بوادي بني مصعب لمآرب "[5] ، اما عبد الرحمان ابن خلدون في كتابه العبر فقد أورد كلمة مصاب عدة مرات بدل مصعب و منها قوله :"وكان لبني

---

[1] مبارك الميلي :تاريخ الجزائر في القديم والحديث،ج2،المؤسسة الوطنية للكتاب ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت– لبنان، د.ت، ص 214.

[2] علي يحي معمر :الاباضية في موكب التاريخ ،الحلقة الرابعة الإباضية في الجزائر،ط3،مكتب الضامري للنشر والتوزيع ،سلطنة عمان، 2008م ،ص301.

[3] مُحَمَّد سعيد كعباش :العطف تاجنينت ، نشر جمعية ألفية العطف ،العطف ،غرداية ،1996م ،ص23.

[4] أبي زكرياء يحي بن أبي بكر:كتاب سير الأئمة وأخبارهم المعروف بتاريخ أبي زكرياء، تح: إسماعيل العربي ،ط2،دار الغرب الإسلامي ،بيروت–لبنان، 1979م، ص 175.

[5] ابي العباس الدرجيني : كتاب طبقات المشايخ بالمغرب ،تح: إبراهيم طلاي ،ج1،ط2، د.ن، د.ت، ص183.

بادين منها الناحية الشرقية قبلة المغرب الأوسط ما بين فيكيك و مديونة الى جبل راشد ومصاب"[1] .

ويلاحظ ان كلمة مصعب الأصلية قلبت عينها ألفاً فأضحت مصاب ،بقلب حرف العين الحلقية الى همزة[2]، ثم تحرفت الصاد الى ضاد لقرب المخارج ،ثم أصبح الضاد ينطق زايا لقرب المخارج وخفتها[3]، وهكذا أصبحت كلمة بني مزاب هي الشكل الأخير الذي تطور عن أصل الكلمة بني مصعب التي انتقلت الى مصاب و مصأب ثم مزاب[4] .

القرى العتيقة بمزاب :

شهدت منطقة وادي مزاب منذ أقدم العصور تواجد الانسان حيث انتشرت الأدلة في عدة محطات ترجع الى العصر الحجري القديم الأوسط، الأعلى والى العصر الحجري الحديث [5] ،ويؤكد ذلك ما ذكره الباحث (pierre roffo) في محاضرة ألقاها خلال الدورة الحادية عشر لمؤتمر ما قبل التاريخ بفرنسا عام 1934م حيث قدم حصيلة الأبحاث الميدانية التي قام بها في منطقة وادي مزاب فتوصل الى تأكيد وجود صناعة حجرية قديمة متمثلة في النصال والنصيلات ذات الظهر المجندل[6]، وكذلك تم العثور على عدد كبير من الأدوات الحجرية ورسومات صخرية في محطات عديدة ترجع الى ما قبل التاريخ [7] ، وبلغ عدد الأدوات التي عثر عليها بالمنطقة 2959 أداة [8].

أما عن الديانة المنتشرة قبل الفتح الإسلامي كانت منطقة وادي مزاب يقول مُحَمَّد علي دبوز: " كان للبربر دين وثني جاؤوا به من الشرق . وكانوا يعتقدون وجود اله يدبر هذا الكون ، لكن لاذات له ترى ،و إنما يتجلى لهم في المظاهر التي تروعهم بقوتها، أو بجمالها ،أو بغرابتها فلذلك

---

[1] عبدالرحمن ابن خلدون :المرجع السابق ، ص 129.

[6] قاسم الشيخ بلحاج :معالم النهضة الإصلاحية عند اباضية الجزائر،ط1،جمعية التراث القرارة ،المطبعة العربية ،غرداية– الجزائر،2011م،ص57.

[3] علي يحي معمر: المرجع السابق ،ص 431.

[4] نفسه ،ص431.

[5] يحي بوراس: المرجع السابق،ص05.

[6] عمر زعابة :المرجع السابق، ص69.

[7] بلحاج معروف :العمارة الدينية الاباضية بمنطقة وادي مزاب من خلال بعض النماذج ،اطروحة دكتوراه في تاريخ العمارة الاسلامية، جامعة ابي بكر بلقايد ،تلمسان–الجزائر ،2002م،ص48.

[8] يوسف الحاج سعيد:، المرجع السابق، ص02.

يعبدون تلك المظاهر "[1]، بعد دخول الإسلام الى شمال افريقيا ، انتقل إلى منطقة وادي مزاب فاعتنقه بنو مصعب و تخلوا عن الوثنية لما وجدوا فيه من طمأنينة و عزة وكرامة و تنظيماً لحياتهم و تحقيقاً لغايات وجودهم في الدنيا ، فقد ادركوا أن الإسلام هو خير الأديان ، فعضوا عليه فتمسكوا به قولاً وعملاً [2].

استطاع بنو مصعب أن يشكلوا تجمعات سكنية في ربوع بادية بني مصعب لتصبح مدن وقرى حيث يذكر هوكي (huguet) أن عدد قصور التي سبقت ظهور مدن مزاب الحالية هي 25 مدينة صغيرة [3]، ويشير حسن الوزان في كتابه أن منطقة مزاب كانت : "تشتمل على ستة قصور وعدة قرى"[4] ، لقد اندثرت العديد من المدن الصغير الا من بعض الآثار القليلة أهمها قرية بابا سعد بغرداية ،بوكياو ، تيرشين ، موركي بمنطقة بني يسجن ،تلزضيت ، أولوال،أوخيرة بالعطف ،أغرم أن واداي– أي القصر السفلي– بمليكة ،وتيميزارت ببنورة ، وبوعزون تغزرت و أغرم أزوقاغ –يعني القصر الأحمر– بالقرارة وغيرها من المدن المنتشرة في ربوع المنطقة [5]، وقد تأسست بعدها القصور السبعة المعروفة حاليا بقصور وادي مزاب غير أن كلمة القصر لا تعبر عن المفهوم الدلالي للكلمة التي تعني الأبهة ومسكن الأمراء والملوك بل هي كما قال كلود بافار: "استطاع البناة أن يبقوا أوفياء لمبادئ القرآن فليس هناك قصور بل هناك اقتصاد في الوسائل وبساطة في الأشكال وكل شيء هناك على مقياس الإنسان "[6].

وهكذا انتقل بني مزاب من حياة الانتجاع والاكتفاء بالحياة البسيطة الى الاستقرار وضم القرى و المداشر المنتشرة على ضفاف وادي مزاب لتتشكل قصور مزاب الحالية[7] تحت تأثير عامل اللّا أمن ، وهي كالآتي حسب التسلسل الزمني لنشأتها وتسميتها بالعربية و المزابية :

---

[1] مُحَمَّد علي دبوز :تاريخ المغرب الكبير، ج1،ط1،مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه ،القاهرة–مصر، 1964م،ص69.

[2] نفسه ،ص71.

[3] ناصر بلحاج :المرجع السابق ،ص34.

[4] حسن الوزان :وصف افريقيا ،تح :مُحَمَّد حجي ومُحَمَّد الأخضر ،ج2،ط2،دار الغرب الإسلامي ،لبنان ،1983م، ص ص 134-135.

[5] يوسف الحاج سعيد: المرجع السابق، ص–ص 15-19.

[6] Claude Pavard :Op.cit,p88.

[7] أنظر الملحق 03.

العطف (تاجنينت)[1]402هـ/1012م،بنورة(آت بنور)[2]439هـ/1048م،غرداية (تغردايت)[3] 447هـ/ 1053م، بني يزقن(آت يزجن)[4]720هـ /1321م،مليكة (آت مليشت)[5] 756هـ/ 756هـ/ 1355م، القرارة (إيقرارن)[6]1631م/1040هـ، بريان(إبرقان)[7] 1689م /1101هـ[8] /1101هـ[8] .

غير أن بعض هذه التواريخ غير دقيقة – القرارة ، بريان – في تاريخ نشأتهما والدليل على ذلك ما جاء في ديباجة اتفاق مجلس وادي مزاب في ذي الحجة (974هـ/1567م) ما يلي: "بس الله الرحمان الرحيم و صلى الله على سيدنا مُحَمَّد اتفاق سبعة قصور ، هذا فقد اجتمعت عزابة سبعة قصور "[9].

---

[1]كلمة امازيغية تدل على المكان المنخفض وهو اول قصر حديث تأسس بمنطقة وادي مزاب، للمزيد ينظر: يوسف الحاج سعيد: المرجع السابق، ص- ص 16-18.

[2] نسبة الى جد إحدى القبائل الزناتية أو ينسب الى سيدي بنور الذي اطلق اسمه على مقبرة الاباضية بالجزائر العاصمة ، للمزيد ينظر :عمر زعابة :المرجع السابق ،ص74.

[3]يقع قصر غرداية فوق هضبة صخرية كبقية القصور أنشئ على يد الشيخ بابا والجمة والشيخ باعيسى العلواني القادمان من منطقة فقيق المغربية ، اما التسمية فهناك من يرى أنها مشتقة من الكلمة الأمازيغية "ايغرد" معناها الكتف جمعها " تيغردين"و مصدرها "تيغرديت" وهناك رأي آخر يرى أنه لفظ مزابي تعني المكان المرتفع أو هي تصغير لكلمة " اغرداي" أي الجبل، للمزيد ينظر: بن زكري حمو ،منشآت الري التقليدية بمنطقة وادي مزاب قصر غرداية نموذجا دراسة اثرية ، مذكرة ماجيستير، جامعة الجزائر2،معهد الآثار 2014-2015م، ص32.

[4]يظهر أن إزقن اسم قبيلة بربرية منتشرة جنوب قسنطينة استقرت بعض أعراشها بالمنطقة فسميت بهم، للمزيد ينظر :يوسف الحاج سعيد المرجع السابق ،ص18،

و يرى بعضهم أن أصل يزقن هو تحريف لكلمة "يزجن" التي معناها نصف بالمزابية ، وقد سميت بهذا الاسم نظراً لانتقال عرش من غرداية الى بني يزقن و يعد هؤلاء نصف سكان غرداية، للمزيد ينظر :بن زكري حمو ،المرجع السابق،ص32.

[5]هو آخر قصور مجرى وادي مزاب تأسيسا، ويعتقد ان اصل القصر نسبة إلى رجال عمروها من بلاد تسمى مليكش التي يعود يعود اصلها الى قبيلة مليكش الأمازيغية المنتشرة في شرق الجزائر ،للمزيد ينظر: يوسف الحاج سعيد، المرجع السابق،18.

[6]هو من القصور حديثة النشأة مقارنة بالأخرى و تقع خارج مجرى وادي مزاب ،وتعني باللغة الأمازيغية الجبال البيضوية التي تآكلت بسبب العوامل الجغرافية ،كما يعتقد ان اسم القرارة يعود الى طبيعة المنطقة حيث تستقر مياه السيل في جنوب وشرق المدينة ،للمزيد ينظر: بكير اعوشت :وادي مزاب في ظل الحضارة الإسلامية، المطبعة العربية ،غرداية ،1991م،ص70.

[7]و هو آخر قصور وادي مزاب من حيث النشأة ،يعود اصل التسمية الى اللفظ البربري الذي يعني الخيمة المصنوعة من الوبر وشعر الماعز، وقيل ان لأهل بريان لهم خبرة في صناعة مثل هذه الخيم ،للمزيد ينظر بكير اعوشت :المرجع السابق ،ص 70.

[8]يوسف بن بكير الحاج سعيد :المرجع السابق ،ص- ص 16-18.

[9]اتفاق عزابة سبعة قصور ،مسجد الشيخ عبدالرحمان الكرثي في ذي الحجة 974هـ.

3- الحياة الفكرية والاجتماعية بمزاب خلال القرنين (11-12هـ/17-18م):

يعتبر النشاط الفكري أساس نشأة الحضارات قديما وحديثا، فبنشاطه وتقدمه ترقى الأمم وتزدهر في شتى المجالات الاجتماعية الاقتصادية والعمرانية ،وبركود النشاط الفكري ينسحب ذلك على الأنشطة الأخرى في المجتمع فتسوده اضطرابات وفتن وتتربص به الأعداء و تنتشر العادات و السلوكات المنحرفة ، ومنطقة مزاب مرت بمراحل نهضة وانتشار للعلوم والثقافة ومراحل ركود وأفول وتراجع ، وكل ذلك ناتج عن عوامل عدة منها داخلية كظهور علماء ومفكرين أو انعدامهم وخارجية لوجود حواضر قريبة أو بعيدة بها نهضة علمية أثرت على من حولهم أو لتهديدات خارجية و انتشار فتن مما يسبب تراجع في نهضة المجتمع .

لقد تعرض أتباع المذهب الإباضي اثر سقوط الدولة الرستمية سنة 296هـ/777م [1]، على يد يد عبد الله المهدي الفاطمي الشيعي إلى مضايقات و ملاحقات ، ليستقر بعض اتباع المذهب بوارجلان بزعامة الإمام يعقوب ابن افلح[2]، فأسسوا بضواحيها مدينة سدراته سنة360هـ/909م[3]، وبعد الفتن الداخلية والخارجية كثورة ابن غانية الميروقي[4] والظروف المناخية المناخية الصعبة التي أضرت بالمدينة و أهلها فأصبح بعد ظهورها وشهرتها خراباً في حدود

---

[1]تعريف الدولة الرستمية :قامت بتاهرت عام 160هـ/777م على يد عبدالرحمن بن رستم ،وهي أول دولة إسلامية مستقلة في في المغرب الأوسط ،وقد أقامت هذه الدولة قاعدة ثقافية متينة في تاهرت وجبل نفوسة ،نوه بها أصحاب الطبقات والسير التي جعلت من تاهرت حاضرة ثقافية تضاهي القيروان وقرطبة وفاس لأن العلم شكل أول اهتمامات الأئمة الرستميين فكرسوا حياته لنشره بين جميع طبقات المجتمع ،إذ ارتبطت الحياة الفكرية ارتباطا وثيقا بالمذهب الاباضي، للمزيد ينظر:سعدو تالية :الحركة الفكرية بالدولة الرستمية و إسهام المرأة الاباضية فيها ،مجلة عصور الجديدة ،العدد1، 2011م،ص1.

[2]يعقوب بن أفلح بن عبدالوهاب ابن عبدالرحمن بن رستم الشهير "بأبو يوسف" ت:310هـ/922م): من أعلام الدولة الرستمية أخذ العلم عن علماء تاهرت آنذاك ،بلغ الغاية في العلم والزهد والورع، تولى إمامة الرستميين سنة 282هـ/895م ودام فيها أربع سنين في ظروف صعبة جدا إذ كثرت الفتن ،ونافس الرستميين على السلطة غيرهم ،مكث بوارجلان بعد ذلك بقية حياته من أجل العلم والدين وترك بها آثار حميدة وهو أصل نسب آل بافلح بوارجلان ، للمزيد ينظر :مجموعة مؤلفين :معجم أعلام الإباضية ،ج2، ط1 ،دار الغرب الإسلامي ،جمعية التراث ،القرارة-غرداية-الجزائر،1999م.صفحة 473.

[3]تعريف مدينة سدراته "اسدراتن": مدينة أثرية مهدمة تعود للعصور الوسطى وتقع في ولاية ورقلة بالجزائر ،تاريخ تأسيس المدينة المدينة يعود الى القرن العاشر ميلادي حيث أسسها الرستميون بعد سقوط دولتهم ومدينتهم تيهرت –تيارت حاليا- على يد الفاطميين سنة 909هـ،ازدهرت المدينة لمدة ثلاثة قرون الى أن تدميرها أخيرا في القرن الثالث عشر ميلادي، للمزيد ينظر: حمو عيسى النوري :دور المزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا 1505-1962،دار الكراون،باريس،1984م،ص107.

[4]-تعريف ثورة ابن غانية الميروقي : هو يحي بن إسماعيل الميروقي المعروف بإبن غانية ،في سنة 626هـ /1229م قام بتخريب بتخريب بعض عيون سدراته حسب ما ذكره عبدالرحمن الجيلالي في كتابه ،حموعيسى النوري، نفسه ،ص 108.

سنة626هـ/1229م[1]،ليغادرها السكان جماعات و فرادا قاصدين مناطق اكثر امنا لهم و لدينهم ومذهبهم فاستقروا حيث وجدوا بغيتهم من أمن و من قبول من سكانها منها منطقة وادي مزاب التي كانت حينها على المذهب المعتزلي فسعى بعض العلماء و المشايخ الى نشر المذهب الإباضي بهذه الربوع فأحدثوا نهضة رائدة إمتدت لقرون .

ترجع بواكير النهضة العلمية والفكرية في ميزاب الى النصف الأول من القرن 5هـ/11م مع ظهور الشيخ العلامة الداعية المصلح ابي عبدالله مُحَمَّد بن بكر الفرسطائي النفوسي (ت: 440هـ) [2] الذي باشر مهمته التي لم تكن بالسهلة [3] وهي الدعوة إلى المذهب الإباضي ، فكان يتنقل بين البوادي والقرى "وكان يشتي في أريغ و يربع في البراري عند بني مصعب وغيرهم ، وكانوا واصلية ، على مذهب واصل بن عطاء ، وهم معتزلة ، فرد بعضهم إلى الوهبية "[4] ،فكانت لدعوته و نشاطه اثر بالغ في بادية بني مصعب.

بعد ان اعتنق بنو مزاب المذهب الإباضي الوافد، توالت على المنطقة هجرات جماعية و فردية ، من بقاع مختلفة من شمال افريقيا على مر القرون من قرى إباضية نفوسة و سدراته ووارجلان ووادي ريغ وغيرها، حيث شارك هؤلاء بنو مزاب في إنشاء قراهم وتعميرها[5]، كما ساهمت هذه الهجرات في توطيد العلاقات والروابط الفكرية والثقافية بين اباضية وادي مزاب والوافدين الجدد إلى المنطقة ، لينتج عنها تركيبة اجتماعية أكثر تناسقاً وتنظيماً[6]، في هذا الصدد يقول حمو عيسى النوري

---

[1] عبد الرحمن الجيلالي : تاريخ الجزائر العام ،ج1، ط2،مكتبة الحياة ،بيروت–لبنان ،1965م،ص176.

[2] مُحَمَّد بن بكر بن أبي بكر بن يوسف الفرسطائي النفوسي (أبوعبدالله): (و:345هـ/956م–ت:440هـ/1049م) :أحد أقطاب الإباضية في المغرب ،ومن أبرز المصلحين الدينيين والاجتماعيين ،ولد بمدينة فرسطاء بجبل نفوسة وأخذ مبادى العلوم منها ،تميز بتأسيسه لنظام هو الآية بين النظم الاجتماعية القديمة والحديثة :نظام حلقة العزابة الذي شرع في تطبيق مبادئه في أول حلقة به بغار في " تين يسلي "وهي "بلدة اعمر" بالقرب من مدينة تقرت –جنوب شرق الجزائر حاليا –وذلك سنة 409هـ/1018م ،فعلم تلاميذه الاعتناء بشؤون المجتمع وتبعوه في سيرته ،وورثوا مبادئ هذا النظام المحكم وورثوه للأجيال من بعدهم ،ولايزال نظام الحلقة قائما الى اليوم في قرى وادي مزاب ووارجلان يدير شؤون المجتمع : الدينية والأخلاقية والثقافية والاقتصادية والسياسية، للمزيد ينظر:مجموعة مؤلفين :المرجع السابق، ص ص368-369.

[3] يوسف الحاج سعيد ،المرجع السابق، ص21.

[4] أبو زكرياء بن ابي بكر: كتاب سير الأئمة وأخبارهم ، تح: إسماعيل العربي ،ط2،دار الغرب الإسلامي ،بيروت–لبنان 1979م، ص 175.

[5] يوسف الحاج سعيد : المرجع السابق، ص24.

[6] يحي بوراس: العمارة الدفاعية في منطقة وادي مزاب، المرجع السابق،ص8.

:"كونوا في الوادي وحدة قومية ووحدة مذهبية ووحدة لغوية ، فأصبحوا بحكم التجاور والمصاهرة والمعتقد أمة متماسكة "[1].

ثم ما لبثت أن نشطت هجرات عكسية لطلب العلم على وجه الخصوص من حواضر كانت مصدرا للفكر الإباضي ولها نصيب وافر مما يتعطش اليه اباضية وادي مزاب مثل وادي ريغ و ورجلان وغيرها ،لكن لم تدم تلك المقاصد طويلا حتى حلت فيهما فتن ،وأصاب قراها ومدنها تدمير وتخريب[2]، وعلى إثر ذلك غير طلبة مزاب وجهتهم نحو مدارس جزيرة جربة بتونس للنهل منها وهي التي اشتهرت بالعلم والعلماء[3] في تلك الفترة وكلما عادوا الى مزاب من تلك الحواضر جلسوا في حلقات علم و اشتغلوا بالتدريس والإرشاد والتوجيه وإصلاح الشأن العام، فتخرج على أيديهم من واصل مسيرة نشر العلم والتفرغ للتأليف في الشريعة واللغة العربية وغيرها من الفنون ، وكذا العمل الاجتماعي و السعي لتعمير البلاد والدفاع عنه من خلال ايجاد تنظيمات و آليات تضمن سير الحياة الدينية والاجتماعية والاقتصادية والعمرانية بتناغم عجيب بين متطلبات الحياة وتوجيهات شرع الله الحنيف يحدوهم في ذلك الصدق و الإخلاص لله ،وكلهم تحدي لتهديدات الطبيعية الصعبة والبشرية الأصعب .

أ–التنظيمات العرفية خلال الفترة الحديثة :

عرفت بلاد مزاب نقلة نوعية في وسائل نشر المذهب الاباضي وخاصة بعد انتشارها في ربوع البلاد فاستحدثت تنظيمات دينية وتربوية .

نظام الحلقة :

للشيخ أبي عبد الله مُحَمَّد بن بكر الفرسطائي النفوسي الفضل في تأسيس نظاما لحلقة وترتيب قوانينها[4]،فقد ذكر الشيخ أبي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني[1] في كتابه طبقات المشايخ بالمغرب

[1] حمو عيسى النوري: المرجع السابق،ص128.

[2] ابي العباس الدرجيني : المرجع السابق، ص494.

[3] يحي بوراس: الحياة الثقافية في منطقة مزاب خلال العصرين الوسيط والحديث ،مجلة الواحات للبحوث والدراسات ،العدد 17،جامعة غرداية–الجزائر،2017م،ص ص 136-137.

[4] أبي العباس الدرجيني :المرجع السابق،ص4.

بالمغرب أن أباعبد الله مُحَمَّد بن بكر الفرسطائي لما أتم تعلمه على يد ابي نوح سعيد بن زنغيل[2] وأبي زكرياء بن أبي مسور [3]حيث اظهر الاجتهاد فتوسم فيه النباهة و الصلاح فقال :"إن أصاب خرصي ولم تخطأ فراستي فإن هذا الفتى يحيي الله به دينه"[4]، ولما غادر إلى بلاده ارسل أبو زكرياء على اثره ابنيه زكرياء و يونس وابن أخيه ابابكر بن يحي لطلب العلم على يده [5] امتنع أبو عبد الله عن ذلك فمازالوا يلحون في الطلب إلى أن قالوا له " انوها لله لا تخب" فلم يجد في ذلك بُدًا من إجابة طلبهم ،فكانت هذه أول حلقة علم التي تأسست في مسجد المنية [6]، فكان هدفه نشر العلم و تكوين التلاميذ الذين كانوا يجلسون الى شيخهم على شكل حلقة دائرية ، منها أُخذ اسم هذ النظام الذي انحصر دوره في تلقين العلم ، ليتطور هذا النظام فيما بعد ليشمل كل شؤون الحياة الفردية و الجماعية [7] .

---

[1]أحمد بن سعيد بن سليمان بن علي ابن يخلف الدرجيني "أبو العباس" (ت:670هـ/1271م):أشهر علماء درجين ببلاد الجريد ،جنوب تونس، واحد من العلماء الخمسة في سلسلة نسبه ،كلهم علماء نحارير ،تلقى تعلمه الأول بدرجين ،تنقل الى ورجلان سنة 616هـ/1219م ليأخذ العلم عن الشيخ أبي سهل يحي بن إبراهيم بن سليمان لأعوام ثم عاد الى موطنه درجين ،فقيه ومؤرخ وشاعر وكان إماما قدوة ،إذ تعد طبقات الدرجيني مجموعة من السير والتاريخ والفقه أحد المصادر المهمة والمفيدة في تاريخ الإباضية . للمزيد ينظر: مجموعة مؤلفين ،المرجع السابق، ص ص 45- 46.

[2]أبي نوح سعيد بن زنغيل (أوائل ق :4هـ/10م) : أحد أقطاب العلم عند اباضية المغرب نشأ وسكن بالجريد تونس ،ثم استوطن وارجلان بالجزائر ،أخذ علمه عنه الإمامين الكبيرين أبي القاسم يزيد بن مخلد ،وأبي حزر يغلا بن زلتاف، يعد حلقة بارزة في سلسلة نسب الدين ،فهو شيخ العلامة الإمام أبي عبدالله مُحَمَّد بن بكر النفوسي ، برع في علوم الفصاحة والبيان وفنون الجدل والرد على المخالفين ، شارك في معركة باغاي مع شيخه وصاحبه في آن واحد أبو خزر يغلا بن زلتاف سنة 358هـ/969م ضد المعز لدين الله رابع الخلفاء الفاطميين ببلاد المغرب .

[3]زكرياء بن فصيل بن أبي مسور يسجا بن يوجسن اليراسني "أبو يحي "(ت:508هـ/1114م): من أفذاذ علماء جربة بتونس ،وهوه ابن علماء فأبوه عالم مشهور ،وأسرته في العلم ذات ظهور ، تلقى العلم في جربة عن والده أبي زكرياء فصيل في الجامع الكبير ثم أرسله والده ليتعلم عند الشيخ ابي عبدالله مُحَمَّد بن بكر النفوسي الفرسطائي في أريغ ،فكون بذلك النواة الأولى لحلقة العزابة وبفضله وتلامذة الشيخ أبي عبدالله تأسس نظام العزابة بجربة ،ولعله أول عزابي فيها ، للمزيد ينظر:مجموعة مؤلفين : المرجع السابق ،ص162.

[4]أبي العباس الدرجيني: المرجع السابق،ص167.

[5] نفسه ،ص167.

[6]نفسه، ص169.

[7]مُحَمَّد ناصر :حلقة العزابة ودورها في بناء المجتمع المسجدي دراسة وصفية تحليلية للمجالس الدينية بوادي مزاب جنوب الجزائر، جمعية التراث ،القرارة- الجزائر،1989م، ص-ص 8-10.

كانت الحلقة عند تأسيسها على يد أبو عبدالله مُحَمَّد بن ابي بكر الفرسطائي متنقلة في ربوع مواطن الإباضية من جزيرة جربة الى جبل نفوسة ثم الجريد التونسي فبلاد ريغ وصولا الى وادي مزاب بالجزائر ،حيث يتنقل الشيخ ومساعديه مع تلاميذهم من منطقة الى أخرى . وضع ابي عبدالله للحلقة نظاما دقيقا في هيكلتها وتقسيم مهام المشرفين عليها وأطوار التعليم فيها وما يقدم فيها من علوم[1] ،وتروي تفاصيل ذلك كتب السير[2] ويستطرد البرادي في ذكر تفاصيل متعلقة بنظام التعليم من آداب وأخلاق وصفات لكل من التحق بالحلقة ، يعتبر هذا النظام بمثابة الجذور الأولى لما أصبح عليه نظام العزابة [3] ،ويظهر هذا التطور بوضوح بعد نشأة قرى وادي مزاب [4]، وهكذا نرى أن نظام العزابة الذي تأسس في 409هـ/1018م ،بدأ لغايات تعليمية تربوية .

نظام العزابة :

الدلالة اللغوية : لقد جاء في لسان العرب (عزب رجل عزباً ومعازبة أي لا أهل له، وعزبت الإبل أي ابتعدت في المرعى لا تروح وأعزبها صاحبها، و عزب إبله و أعزبها بيتها في المرعى ولم يرحها)، وهكذا نجد كلمة العزابة لغة يقصد بها الغربة والبعد .

الدلالة الاصطلاحية: ان دور أعضاء هيئة العزابة هو خدمة الإسلام والمصلحة العامة والبعد النسبي عن زينة الحياة الدنيا ،مع الالتزام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[5]،تتكون هيئة العزابة من عدد محدود من الأعضاء ، ويصف علي يحي معمر العزابة بأنها هيئة محدودة ،تمثل خيرة أهل البلد علماً وصلاحاً ،تقوم بالإشراف الكامل على شؤون المجتمع الإباضي، يترأس مجلس العزابة غالبا أقدمهم وأكبرهم سنا ،وقد تسند الرئاسة للأعلم والأفقه في الحلقة أحيانا ، كما أن مجالس حلقات العزابة بقرى وادي مزاب لها ممثلين يشكلون مجلسا أعلى يجتمعون فيه دوريا للتنسيق والتشاور، ومعالجة المسائل الفقهية الحادثة. ومشاركة العوام (كبار العشائر) في سن القوانين التي تسير كل شؤون البلدة في إطار مجلس يطلق عليه حينا "عزابة بنو مصعب وعوامها وعلمائها"، أو

---

[1] الياس بابانجار :النسخ والنساخ بوادي مزاب خلال الفترة الحديثة ،مذكرة ماستر ،جامعة غرداية ،الجزائر 2022م.ص ص 13-14.

[2] ابي القاسم البرادي: الجواهر المنتقاة ، تع :أحمد بن سعود السيابي ،دار الحكمة ،لندن،2014م،نسخة الكترونية ،ص257.

[3] مُحَمَّد الناصر :المرجع السابق، ص09.

[4] نفسه، ص10.

[5] أبي العباس الدرجيني :المرجع السابق،ص4.

مجلس عزابة وادي مزاب طلبة وعوام وأحيانا مجلس عزابة وادي مزاب"[1]، ثم تحول الى اسم مجلس الشيخ عمي سعيد نسبة للشيخ عمي سعيد بن علي الجربي[2]،وهذه التسمية هي المعروف به المجلس الى يومنا هذا .

- مهام نظام العزابة :

المهام الدينية :تتمثل في الوظائف الدينية للمسجد كالإمامة والآذان والإفتاء والوعظ الذي من خلاله يتم تنوير المجتمع بترسيخ العقيدة الصحيحة وتقويم سلوك أفراده.

المهام الاجتماعية :لا تنحصر مهام العزابة في المسجد فقط بل تبدأ منها حيث تتغلغل في أعماق المجتمع فتتفقده في جميع نواحي حياته كلها ،فالعزابة يحرصون كل الحرص على تنظيم العلاقات الاجتماعية حسبما تقره الشريعة الإسلامية في مصادرها من كتاب الله وسنة رسوله ،وعرف أهل البلد مع التركيز على متطلبات كل مرحلة ومواكبتها لتطور المجتمع ،كما تحرص الهيئة على ضبط تنظيمات اجتماعية يخضع لها جميع أفراد المجتمع سدا لانحرافه ووقاية له من الوقوع في ما يخالف شرع الله وتماسك المجتمع[3].

المهام التربوية: ان مسؤولية تربية النشأ وتعليمه هي أهم ركن اعتنت به هيئة حلقة العزابة منذ تأسيسها وهذا إدراكا من علماء المذهب وشيوخه أن التربية والتعليم هي القاعدة الأساسية لتنشأة مجتمع مسلم واعي بدوره الحضاري ، والدليل على ذلك تلك الجموع من المتخرجين خلال الفترة الحديثة من مشايخ وأئمة وعلماء من تلك المحاضن المسجدية التعليمية التربوية مع العلم أن من يلتحق بهذه المحاضر أو الكتاتيب قد يكون ميسور الحال لكن أغلبهم من المعدمين الفقراء فتتكفل

---

[1] بالحاج ناصر: المرجع السابق،ص 76.

[2] تعريف الشيخ عمي سعيد :"ولد في قرية أجيم ،بجزيرة جربة تونس ،وبها نشأ وأخذ العلم عن أبي النجاة يونس بن سعيد بن يحي ابن تعاريت الصدغياني الجربي ،وأبي بكر بن عيسى الباروني .قدم الى وادي مزاب سنة 854هـ/1450م لإحياء العلم رفقة عالمين آخرين هما :الشيخ بلحاج مُحَّد ابن سعيد الذي كان من نصيب بني يسجن ،والشيخ دحمان الذي كان من نصيب بنورة ،وأما هو فكان من حظ غرداية (...) له آثار كثيرة أنجز لها فهرس شامل ،مثل التحف المخزونة لسليمان بن يخلف المزاتي ،بالإضافة الى تأليف عدة رسائل وقصائد ،وفتاوى منها :منظومة في الفقه وهو مخطوط، سؤال على شكل قصيدة لبعض فقهاء غير الاباضية ،وصلنا منها 34بيتا ،ونشير الى أنه أول من لبس الرداء الرسمي للعزابة ،فكان عادة متبعة من بعده الى اليوم في أغلب مدن وادي مزاب "،للمزيد ينظر :مجموعة مؤلفين ،ص ص 182-183.

[3] مُحَّد ناصر: المرجع السابق، ص-ص 23-28.

حلقة العزابة بمصاريفهم التي تجمعها من زكاة الأغنياء وصدقات المحسنين [1]ويستعرض المؤرخ ابو القاسم سعد الله اوجه انفاق الزكاة لدى المزابيين فيذكر منهم طلبة العلم فيقول : "(...) وللكتاتيب (المدارس) نصيبها من مداخيل الوقف ، وكذلك التلاميذ المحتاجين " [2]. حافظت المحاضر على شكلها ومضمونها مع الحفاظ على ثوابتها التي أسست من أجلها، وفي هذا الصدد يقول مُحَّد علي دبوز :"إن ميزاب يعتني بحفظ القرآن كل الاعتناء إنه أساس العربية والدين ويعتني بتعليم العربية اعتناء كاملا (...) وذلك بفضل الكتاتيب(المحاضر) ودار التلاميذ والمدارس العربية العصرية (...) وبفضل هذا النظام الديني الذي هزم الاستعمار فلم يستطع أن يغرس في الجنوب احتقار العربية والدين"[3].

المهام الاقتصادية : من المعلوم أن الإسلام لا يفصل بين ما هو شعائر تقام بالمساجد وفي المناسبات وبينما هو واقع يعيشه المسلم في حياته اليومية في إطار مجتمعه ومن هذا المنطلق فإن لحلقة العزابة دورا مهما في الجانب الاقتصادي فتسعى الى تنظيم الشؤون المتعلقة بالجانب الاقتصادي مثل مراقبة البيع والشراء في الأسواق وهو ما يعرف بنظام الحسبة في الإسلام ،وتحارب الانحراف في التعاملات التجارية مثل الغش والاحتكار وغيرها ،بالإضافة الى ما تنشره هذه الهيئة من وعي من خلال منابر المسجد في الجانب الاقتصادي وذلك كله استنادا لما تقره الشريعة الإسلامية.

من مهام حلقة العزابة مراقبة التخطيط المعماري للمدينة مع مراعاة الحقوق الفردية والجماعية فحددت قوانين ونظم دقيقة في ذلك كما قامت الهيئة بالإشراف على إنشاء البساتين وواحات النخيل و الإشراف الفعلي على تصريف مياه السيول حسب ما تقتضيه مصلحة الواحة بوادي مزاب ، بالتنسيق مع أمناء العرش. وفي هذا الصدد ألفت كتب قيمة أبرزها كتاب أصول الاراضين

---

[1] نفسه ،ص 32.

[2] أبو القاسم سعد الله :تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954م، ج5،دار الغرب الإسلامي ،بيروت-لبنان،1998م ،ص 176.

[3] مُحَّد علي دبوز :نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة ،المرجع السابق،ص215 .

الذي ألفه ابن مؤسس الحلقة وهو أبو العباس أحمد بن مُحَمَّد بن بكر الفرسطائي[1] في النصف الثاني من القرن الخامس هجري[2].

المهام السياسية :انطلاقا من مكانة حلقة العزابة المتمثلة في كونها في قمة الهرم الاجتماعي فإنها مطالبة بحماية البلاد والعباد من الأخطار الداخلية بتدخلها في إخماد الفتن والخارجية بصد العدوان ورد الأعداء ،وقد قاموا بهذا الدور الخطير في كل المراحل التاريخية التي مرت بها منطقة وادي مزاب ولعل ما يؤكد هذا المعنى في الفترة المعاصرة الرسالة التي أوردها الشيخ علي يحي معمر التي بعث بها الجنرال الفرنسي مارغريت إلى القائد الأعلى بالجزائر يذكر فيها الأسباب التي دعته إلى غزو مزاب سنة 1882م ،يقول فيها:" لقد قررت الزحف على غرداية لأن جميع المقاومة التي تعرضنا لمهاجمتها في الصحراء تستمد سلاحها من مزاب، ولقد رأيت هؤلاء يمسكوننا باليد اليمنى ويمدون الثوار باليد اليسرى ،ولعل الأشد عداء لنا هم الطلبة الذين يسمون العزابة وقد كان أول عمل قمت به هو سجن شيخهم [اطفيش] الذي أعلن الجهاد ضدنا "[3].

وقد يتساءل المرء كيف لكوكبة محدودة العدد من وجهاء البلدة أن تتحكم وتوجه مجتمع في كل مناحيه ؟

لكي تؤدي حلقة العزابة دورها داخل المجتمع وهيأته فإنها اعتمدت على نظام هرمي محكم قمته حلقة العزابة ثم هيئة حفظة القرآن أو التلاميذ (ايروان)[4]، والذين لم يستظهروا القرآن من التلاميذ

---

[1] مُحَمَّد بن بكر بن أبي بكر بن يوسف الفرسطائي النفوسي (أبوعبدالله): (و:345هـ/956م-ت:440هـ/1049م) :أحد أقطاب الإباضية في المغرب ،ومن أبرز المصلحين الدينيين والاجتماعيين ،ولد بمدينة فرسطاء بجبل نفوسة وأخذ مبادى العلوم منها ،تميز بتأسيسه لنظام هو الآية بين النظم الاجتماعية القديمة والحديثة :نظام حلقة العزابة الذي شرع في تطبيق مبادئه في أول حلقة به بغار في " تين يسلي "وهي "بلدة اعمر" بالقرب من مدينة تقرت –جنوب شرق الجزائر حاليا –وذلك سنة 409هـ/1018م ،فعلم تلاميذه الاعتناء بشؤون المجتمع وتبعوه في سيرته ،وورثوا مبادئ هذا النظام المحكم وورثوه للأجيال من بعدهم ،ولايزال نظام الحلقة قائما الى اليوم في قرى وادي مزاب ووارجلان يدير شؤون المجتمع : الدينية والأخلاقية والثقافية والاقتصادية والسياسية ،للمزيد ينظر: مجموعة مؤلفين :المرجع السابق، ص ص368-369.

[2] ناصر مُحَمَّد: المرجع السابق ،ص ص 33-34.

[3] علي يحي معمر :المرجع السابق ،ص 596.

[4] تعريف هيئة اروان : تعني بالعربية ايروان العلم عن مشايخهم أو تعني بالبربرية الفتى (إيرو) لأن أغلبهم صغار،نظام أُقامه الشيخ عمي سعيد الجربي لما أتى الى مزاب وهو امتداد وتجديد لسيرة الشيخ أبي عبدالله الفرسطائي مع طلبة العلم هي المنظمة الثانية بعد العزابة يقصدها الطلبة المستظهرون لكتاب الله لهم لباسهم الخاص الذي يشبه لباس العزابة ، مهمتهم طلب العلم ومساعدة العزابة في خدمات متنوعة وإحياء المناسبات .

إمصوردان[1] وهذه التنظيمات مهامها الأساسية داخل المسجد وملحقاتها[2]، أما خارج المسجد فنجد مجلس الجماعة الذي يتكون من شيوخ العشائر ينحصر دورهم في الهيئة التنفيذية ويساعد الجماعة في تنفيذ مهامهم مجلس (المكاريس)[3]، ولكل هيئة مما ذكرناه شروط معلومة وموصفات دقيقة ولوائح داخلية خاصة .

أما بالنسبة للجانب النسوي فيوجد مجلس خاص بهن يتولى شؤون المرأة ويرعاها وهو ما يسمى بمجلس (تيمسِرِيدِين)[4].

ب– تطور النهضة العلمية وعواملها :

من خلال ما اطلعنا عليه من مخطوطات تبين ظهور حركة نشطة للنَّسخ والنُساخ خلال النصف الثاني من القرن 9هـ/15م مثل مستنسخات أحمد بن داود بن موسى بن إسماعيل بن عيسى المصعبي الذي أرخ لبعض منسوخاته بين سنتي(866-881هـ/ 1462-1476م)[5].

ومما يمكن ملاحظته أن بني مزاب خلال القرون الماضية اعتمدوا على ما ينتجه علماء الإباضية من خارج مزاب كوارجلان وجبل نفوسة وجربة وغيرها من مواطن الاباضية ، وامتد ذلك الى استقطاب علماء إباضية من خارج مزاب ليملؤوا فراغا أصاب جانب من حياتهم الفكرية لإحياء الدين ونشر العلم في ربوع مزاب [6].

---

[1]تعريف امصوردان : لم يثبت معنى واضح لمصطلحه الا أننا نرجح أن الكلمة من أصول مزابية تتكون من شطرين (إيمزوار داني) معناها السابقون في المقدمة والميدان التطوعي وهذا ما يدل عليهم دورهم الاجتماعي فهم في الصفوف الأولى متطوعين في كل الميدان من حفظ للأمن وخدمة للشؤون العامة كعملية تصفية السواقي السيول ،والآبار ،والبحث عن المفقودين إلى آخره

[2]المصليات الفرعية ،المقابر ،المحاضر.

[3]تعريف المكاريس : يتكون من العوام وممن يتصف بالشجاعة والقوة يحسنون حمل السلاح مهمتهم الأساسية الحفاظ على أمن البلد وحراسة الممتلكات وهذا التنظيم لم يعد موجود الآن ،للمزيد ينظر: جابر الحاج سعيد :تاريخ بني مزاب ،ط1، مطبعة طيف ،غرداية –الجزائر،2016م،ص 48.

[4]تيمسيردين : هي جمع مؤنث في اللغة المزابية مفردها (تمسِيردت) أي الغاسلة لموتى النساء والصبيان وفيهن من يختص بالإرشاد وغيره من المجالات المتعلقة بالنساء ، وتذكر بعض المراجع الى أن تأسيس هذا النظام كان خلال القرن 09هـ/15م ،للمزيد ينظر : جابر الحاج سعيد :المرجع السابق ،ص35.

[5]يوسف الحاج سعيد :المرجع السابق، ص102.

[6]نفسه، ص .102

تعد النهضة العلمية والفكرية للمجتمع الإباضي بمزاب خلال أواخر القرن 9هـ/15م الى النصف الثاني من القرن 10هـ/16م فترة حاسمة ساهمت في ذلك عدة عوامل أبرزها:

– قدوم الشيخ سعيد بن علي الجربي الإباضي من موطنه الأصلي جزيرة جربة ليستقر بوادي ميزاب ،حيث أحدث ثورة علمية إصلاحية شاملة ،خاصة الجانب الاجتماعي والديني[1] ويعتبر ممن يعود اليهم الفضل فيما سيأتي من نهضة في مزاب .

– انتشار دور العلم المتمثلة في المحاضر التي كانت تابعة للمساجد وتدار من مشايخ العزابة حيث يلقن فيها الصبية والكبار العلوم المختلفة [2]وقديما انحصر التعليم بوادي مزاب داخل المساجد في حلقات أو في أحد مساكن الشيوخ ،فلما تغيرت الأوضاع بفضل تزايد العلماء والمشايخ، و تزايد اقبال الطلبة من داخل مزاب وخارجه على التحصيل لم يجد القائمون على تلك حلقات العزابة سوى وفتح المزيد منها لتستوعبهم [3].

– يبدو أن للعامل الخارجي المتمثل في الاستقرار السياسي النسبي لأقطار شمال افريقيا بعد الحاق كل من الجزائر وتونس وليبيا لسلطة الدولة العثمانية ،تأثيرا مباشر اعلى المناطق الداخلية لهذه الأقطار ، فكانت للمزابين مكانة خاصة لدى العثمانيين من خلال السماح لهم بتسيير شؤونهم الداخلية و الاعتراف بمذهبهم الإباضي و احترام أعرافهم وفي هذا الصدد يقول المؤرخ أحمد توفيق المدني :" لما كان المزابيون يهاجرون إلى بلاد التل باستمرار قصد التجارة و الكسب ، فقد اعترفت

---

[1]له نشاط بارز في مسجد العتيق بقصر غرداية حيث تحول هذا المسجد بفضله الى جامعة علمية يقصدها الطلبة من مختلف القصور ،بالإضافة الى انه كان مجددا لنظام العزابة الذي استحدثه الشيخ ابو عبد الله مُحَمَّد الفرسطائي قام الشيخ عمي سعيد باستحداث نظام إروان الذي كان محضن للطلبة الذين بلغوا درجة حفظة القرآن و مقرها بجوار المسجد و قد زودها بمكتبة ،كما كان له الفضل في سن لباس العزابة وإروان المعروف بهما حاليا ، كما ساهم مساهمة فعالة في اخماد نار الفتن بين بعض العشائر والقرى، فانتشر الامن و استقر الوضع ، كما ينسب اليه تأسيسه لمجلس يضم عشائر غرداية مقر اجتماعاته بساحة السوق وماتزال آثاره خالدة الى يومنا، وساهم أيضا في بناء مأذنة المسجد العتيق وتوسعة المسجد ، إضافات للأعمال الميدانية فقد ترك مكتبة نفيسة وآثار كثيرة أنجز لها فهرس شامل مثل التحف المخزونة لسليمان بن يخلف المزاتي بالإضافة الى تأليف عدة رسائل وقصائد وفتاوى، كما تخرج على يده ثلة من الطلبة امثال الشيخ ابي مهدي بن عيسى بن اسماعيل بن عيسى وغيرهم، للمزيد ينظر : مجموعة من المؤلفين، ص182.

[2]يحي بوراس :الحياة الفكرية بمنطقة مزاب في القرنين 9-10هـ/15-16م ،مخطوط أجوبة الشيخين :سعيد الجربي وعيسى المصعبي أنموذجا ،المنهاج ،العدد02 ،ج.ش.أ.إ.ط، خ.ت،غرداية–الجزائر ،2013م ،ص–ص 97-99.

[3]بلحاج معروف : المرجع السابق ،ص 182.

قصورهم (...) منذ انتصاب الأتراك بالبلاد ، بالتبعية للديوان. وإنما كانت التبعية اسمية فقط (...) فكان استقلالهم مطلقاً في بلادهم"[1]، غير ان الاستقلال المطلق الذي وصفه احمد توفيق المدني ليس بتلك الدرجة بل كانت تبعية مجلس وادي مزاب اسمية ومقتصرة في دفع رموز الولاء للايالة العثمانية [2] ،كما التزمت الدولة العثمانية بحماية قوافلهم وممتلكاتهم التجارية مقابل تقديم ضريبة تقدر ب12 عبداً و 12 أمةً للإيالة العثمانية سنويا ويكون النصر متبادل بينهما في حال الفتن و الحروب[3].

– ان ازدهار الطرق التجارية التي ساهم المزابيون في استحداثها وتنشيطها يعود للموقع المتميز الذي يحظى به وادي مزاب في كونه ملتقى طرق و معبر استراتيجي للقوافل التجارية منذ فترات زمنية بعيدة ، كما كانت مركز تبادل تجاري هام بين التل وبلاد السودان ،مما جعلها تكتسي أهمية في اغلب الحواضر الصحراوية كقورارة و توات غرباً و منطقة ورجلان شرقاً لتصبح حاضرة هامة اقتصادياً واجتماعياً وعلمياً .[4]

وقد ساهمت تلك الطرق التجارية في تنشيط حركة التبادل التي زادت من الروابط الفكرية بين مزاب والأقطار الأخرى مثل جربة وجبل نفوسة وغيرها حيث قصدها طلبة مزاب للتزود من مختلف العلوم كما أضحت منطقة مزاب مركز اشعاع واستقطاب علماء من خارجها كنفوسة وجربة وسدراته فاستقروا بقصورها لنشر العلم وارشاد الناس وإصلاح الأوضاع ،فخلفوا آثارا ومنسوخات خالدة يتوارثها الأجيال خلفا عن سلف[5]. ويبرز ذلك بشكل واضح في ارتفاع عدد النُساخ خلال القرن العاشر الهجري الى اثنان وعشرون ناسخاً [6]. ومن هؤلاء العلماء الشيخ سعيد

---

[1] احمد توفيق المدني: مُحَمَّد عثمان باشا سيرته وحروبه، نظام الدولة و الحياة العامة في عهده، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر،1986م،ص138.

[2] بلحاج ناصر :المرجع السابق ،ص147

[3] قاسم الشيخ بلحاج: موجز تاريخ وادي مزاب أثناء الحكم العثماني والاستعمار الفرنسي، العالمية للطباعة والخدمات، تيبازة– الجزائر، 2017م ،ص16.

[4] يوسف الحاج سعيد :المرجع السابق، ص ص 51–52.

[5] حمو عيسى النوري :المرجع السابق،ص60.

[6] الياس بابانجار :المرجع السابق، ص30.

بن علي من جربة و أبو عبدالله مُحَمَّد بن زكرياء الباروني من نفوسة والشيخ مسعود بن أحمد من عمان والفقيه أبو يحي التلمساني من تلمسان والشيخ أحمد الفاسي من فاس [1].

خلال القرن 11هـ/17م ساد مزاب جو من الاستقرار الفكري و الاجتماعي و أصاب بعض الفتور مسار النهضة التي شهدها القرن 16م ، وما يؤكد هذا الرأي ثبات عدد النساخ على اثنان وعشرون ناسخاً[2] وفي النصف الثاني من القرن السابع عشر ميلادي برزت ثلة من العلماء والمشايخ من داخل مزاب ومن خارجه تحملت مسؤولية تنشيط الحياة الفكرية و الاجتماعية و العمرانية بما يضمن استمرارية النهضة بمزاب، ومن أبرز هؤلاء الشيخين أبي القاسم بن يحي و ابنه الشيخ مُحَمَّد بن ابي القاسم الغرداويين وهذا الأخير هو المخصص له هذه الدراسة التي نحن بصدد إنجازها وسيأتي تعريفهما لاحقاً[3].

ج- أبرز العلماء ورواد النهضة الإصلاحية خلال القرنين(11-12هـ/17-18م):

بامُحَمَّد بو سحابة(ق:11هـ/17م) : دخل وادي مزاب قادما من جبل نفوسة ،وهو أحد أحفاد الشيخ عمي عيسى المكنى بالشيخ "باباوالجمة "،عرف عنه العلم و التقوى ، تسلم مشيخة غرداية ، اشتهر بـ "عبد الله مُحَمَّد بن ابي سحابة المصعبي " ، وقد راسل الشيخ " أبا عبد الله مُحَمَّد بن عمرو بن ابي ستة الجربي السدويكشي" الذي عرف بالمحشي[4]، في قضايا علمية وفتاوى شرعية وهي لا تزال مخطوطة. غادر مزاب عندما حل بالبلاد الضعف الفكري والانهيار العلمي وتدني القيم الاجتماعية ، باتجاه المغرب الأقصى للتزود بالعلم ، فأقام به سنوات متعلماً و عند عودته إلى وطنه وجدها في حال متدهور فعزم على إصلاح الأوضاع الاجتماعية والدينية و تصدر الفتوى ،

---

[1] يحي بوراس ،الحياة الثقافية في مزاب خلال العصرين الوسيط والحديث ،المرجع السابق ،ص 138.

[2] الياس بابانجار: المرجع السابق ،ص31.

[3] مؤسسة الشيخ عمي سعيد :فهرس خزانة دار التلاميذ (إروان) بجامع غرداية الكبير ،ص ل.

[4] مُحَمَّد بن عمر بن مُحَمَّد بن أحمد بن أبي القاسم بن أبي ستة القصبي السدويشكي (أبو عبدالله) الشهير ب"المحشي" (و:1022هـ/1614م- ت:1088هـ/1677م):عالم جليل من أشهر علماء جزيرة جربة ،ولد وترعرع فيها ،وهو سليل أسرة عريقة في العلم ،تنسب الى حومة القصبيين ،ثم انتقل أحد أجدادها الى حومة سدويكش بالجزيرة ولذلك عرف المترجم له ب:القصبي السدويكشي ،أخذ العلم عن والده ،وعن عمه الشيخ أحمد بن مُحَمَّد ،كان شديدا في الحق ورعا ،كثير البكاء ،متواضعا مع الناس ،ومحبا للعلم والمتعلمين ،ترك آثارا علمية بارزة تشهد على رسوخ قدمه في مختلف العلوم ،وعلى جمعه بين المنقول والمعقول ،فله حواش عديدة على أمهات الكتب الإباضية ،بلغ عددها عشرين حاشية ،ولذلك اشتهر بالمحشي ، للمزيد ينظر : مجموعة مؤلفين: المرجع السابق ،ص ص 388-389.

وباشر واجب الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ،من آثاره رسالة مخطوطة بعثها باسم فقهاء بني مصعب إلى عزابة وارجلان، مات مقتولاً [1].

موسى بن ابي سحابة مُحَّد المصعبي (النصف الثاني من القرن 11هـ/17م) :عالم جليل من علماء مزاب ذو ورع وصلاح كانت له مراسلات علمية مفيدة مع الشيخ مُحَّد بن عمر بن ابي ستة المكنى المحشي و قد نشر بعض منها في كتابه، كان الشيخ موسى يسأله عن مسائل عديدة فيعطيه ابي ستة الإجابات في علوم الفقه والكلام وغيرهما من العلوم ،وما تجدر الإشارة إليه ، كان قد هاجر إلى سجلماسة طالبا للعلم ، وبعودته إلى مزاب نشر علمه هناك ،وتوجد بغرداية مسجد تنسب الى هذه العائلة "أبي سحابة"[2].

مُحَّد بن عمرو الشهير بـ " أمغار المصعبي "(حي في: 1090هـ/1669م) :من الآثار التي تركها العالم امغار في الجانب الفكري كتاباته منها في علم الفلك و الميقات تحت عنوان "تفكيك الرموز الفلكية لاستخراج الكنوز الكوكبية "وتوجد نسخة مخطوطة منه بمكتبة آل افضل[3] ببني يسجن.

يوسف بن مُحَّد المصعبي المليكي (ابو يعقوب):(**1079-1187هـ/1669-1773م**):ولد بقصر مليكة بوادي مزاب وينتمي الى عائلة آل ويرو ،انتقل رفقة والده الى جربة حيث استقر بها عاملا ومتعلما ، تلقى العلم عن الشيوخ أمثال سعيد بن يحيى الجدوي ، ثم انتقل الى تونس طالبا العلم بها ثم مصر حيث جلس الى مشايخ الأزهر ، عاد الى جربة فتصدر الفتوى و التعليم بها فصار من كبار علمائها ، حيث ترأس حلقة العزابة ،كان مهيب الجانب ، جريئا في قول الحق ، في فترة من الزمن مثل اباضية المغرب لدى السلطة التركية ، له معارف في علم الفلك و الكيمياء والخط [4].

---

[1] مجموعة مؤلفين : المرجع السابق، ص ص 165-166.

[2] ابراهيم ابو اليقظان: ملحق سير الشماخي ،مخ ،نسخة الكترونية ،ص 47.

[3] مجموعة مؤلفين، المرجع السابق ،ص392.

[4] إبراهيم زدك :الحركة العلمية في منطقة وادي ميزاب ما بين القرنين 10-13هـ/16-19م، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر ،جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس ،2018م، ص ص 233-234.للمزيد ينظر :مجموعة مؤلفين : المرجع السابق،ص429.

أحمد نجار (ت :1195هـ/1780م): من قصر بني يزقن ، تلقى العلم خارج بلدته ،كان عالماً ومن دعاة الإصلاح الاجتماعي والديني ، تقلد مشيخة العزابة في مسجد بني يزقن قبل الشيخ عبد العزيز الثميني ، والشيخ أبو زكرياء يحي بن صالح الأفضلي ، لقد كان يحضران مجلسه العلمي، كان ذو قوة في الجسد وفي العلم و جرأة في مواقفه فلا يخاف في الله لومة لائم[1] .

يحي بن صالح بن يحي الأفضلي(ابو زكرياء):(1120–1223هـ/1708–1808م):من أعلام و كبار المشايخ بوادي مزاب إبان النهضة الحديثة ، من قصر بني يزقن من احفاد الشيخ موسى بن الفضل المعروف بالشيخ باسه وفضل ، تلقى مبادئ العلوم بمسقط رأسه ببني يزقن ثم قصد جربة لإكمال تعلمه ،وتوجه الى مصر حيث واضب على حضور دروس الأزهر ، عاد الى موطنه مزاب حوالي 1744م فبدأ في وضع قواعد لحركة اصلاحية واسعة وشاملة ، بالتعليم والإرشاد و الوعظ ، أصبح عضوا بحلقة العزابة فكون الكثير من الطلبة منهم يحي بن مُحَّد بن أبي القاسم المصعبي سنة 1744م[2] ،ليصبحوا علماء عصرهم وحاملي للواء الإصلاح و النهضة العلمية . ترك مؤلفات عديدة و مكتبة غنية توارثها ذووه أباً عن جد ، ثم واصل بعده سبيل النهضة تلامذته و أبرزهم ضياء الدين الثميني ،و دفن بسقط رأسه بمقبرة آت فضل في بني يزقن[3].

هكذا فقد ساهمت عدة عوامل في هذه النهضة المباركة التي قادها علماء ، وضعوا بصماته في مجتمعهم بأعمالهم و انجازاتهم ، فهم مشتركون في الدور المنوط بهم ، وفي الظروف الجغرافية والطبيعية المحيطة و تحديات البيئة الاجتماعية ،غير أنهم مختلفون في النشأة الأسرية والحياة التكوينية و التعليمية ، وفي المبحث الموالي نستعرض الحياة الأسرية للشيخ مُحَّد بن ابي القاسم بن يحي المصعبي في أبعادها الأربعة من مولد ونسب وحياة علمية ثم وفاة.

المبحث الثاني :مولده نشأته ثم وفاته.

1– اسمه ومولده :

[1] نفسه ،ص ص 52–53 ، للمزيد ينظر: ابراهيم أبو اليقظان: المرجع السابق ،ص ص 87–88.

[2] مجموعة مؤلفين: المرجع السابق ،ص 71.

[3] مُحَّد علي دبوز ، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، المرجع السابق،ص262.

هو مُحَمَّد بن أبي القاسم بن يحي بن ابي القاسم بن مُحَمَّد بن موسى بن يحي بن مُحَمَّد بن يونس بن علي[1] الغرداوي [2]المصعبي الاباضي ، وهو من عشيرة آل يونس[3]، أما عن والدته فلم نجد عنها إشارة في ما توصلنا إليه من مصادر مخطوطات و دراسات علمية .

في المصادر القديمة و المخطوطات المتوفرة وجدنا تسميته تذكر على عدة إشكال وهي :

"مُحَمَّد بن أبي القاسم" و أيضا "مُحَمَّد بن الحاج أبي القاسم " فصفة "الحاج " هي إضافة تشريف لأبيه [4] أبي القاسم ، ويعرف كذلك "حمو بن الحاج" المذكور في مخطوط له في قصيدة التضرع والإبتهال[5] والمنسوخة له قصيدة لامية في ذكر أطوار الانسان[6]، و كذلك"الشيخ حمو والحاج"،علما أنه في اللسان المحلي اسم "حمو" هو في الأصل مُحَمَّد وكذلك عبارة "بن "التي تدل على نسب الإبن لأبيه تقلب واو في اللسان المحلي فألحقت صفة الشيخ بحمو والحاج[7] لمكانته العلمية ليصبح في النهاية كنيته المعروف بها في نطاق واسع محليا هو الشيخ حمو والحاج .

لم تذكر المصادر المتوفرة تاريخ ميلاد الشيخ مُحَمَّد أبي القاسم رغم حصولنا على وثيقة بخط يد الوالد أبو القاسم بن يحي وهي نسخة من ورقة منفردة مخطوطة توجد في مكتبة الأستاذ مُحَمَّد بن أيوب الحاج سعيد ضمن مجموع يحمل رقم 41 [8]،وتشمل الورقة على تقييد تواريخ إزدياد أولاد الشيخ ابي القاسم بن يحي المصعبي ،ويحمل العنوان رقم : 95 في فهرس المكتبة ، تذكر الوثيقة تواريخ ميلاد أبناء الشيخ أبي القاسم دون أن نجد فيها إشارة الى إبنه مُحَمَّد بن أبي القاسم ،السبب في ذلك ربما يعود إلى كون الوثيقة المتوفرة مخرومة الحواشي فضاع جزء مما كتب فيها أو ربما ضاعت صفحة

---

[1] بشير الحاج موسى : نحو دراسة حياة وآثار الشيخ مُحَمَّد بن ابي القاسم بن يحي المصعبي الغرداوي،1996م،ص08.

[2]الغرداوي نسبة الى القصر غرداية للتفريق بينه وبين الشيخ حمو والحاج اليسجني للتفريق بينهم.

[3]عشيرة ال يونس :وهي عشيرة من عشائر18 المشكلة لقصر غرداية ،ثاني أكبر عشيرة في غرداية ،تتشكل من 36 عائلة أكبرها عائلة حجاج التي ينحدر منها نسب الشيخ حمو والحاج ، وتفرعت من عائلة آل حجاج 03 عائلات : التونسي .بلعديس ،طرطورة.

[4]المذكورة في مخطوط الذي أورد فيها أسماء أبنائه وهي بخط يده كان يذكر صفة الحاج على نفسه وقد تكون هذه الصفة لأدائه مناسك الحج.

[5]مؤسسة الشيخ عمي سعيد، فهرس الخزانة العامة ،الرقم في الخزانة :د. غ 40.

[6]مؤسسة الشيخ عمي سعيد ، فهرس خزانة دار التعليم بكير تعزابت، الرقم في الخزانة :مع /دغ137.

[7] بشير الحاج موسى :المرجع السابق، ص 36 .

[8]انظر الملحق رقم 04.

أخرى من الوثيقة المتوفرة ، وما قام به الباحث في التراث المحلي الأستاذ بشير الحاج موسى (معاصر) الذي إعتمد على مخطوط عبارة عن قصيدة ميمية في النصائح و الإبتهال للشيخ مُحَّد بن أبي القاسم وتوجد نسخة منها بحوزتنا ، وقد ذكر في قصيدته في البيتين (59-60) وهي من أعماله الشعرية [1] أنه نظمها في سنة 1087هـ/ 1676م وعمره آنذاك 42 عاما وبعملية طرح بسيطة يكون ميلاد مُحَّد بن الحاج أبي القاسم سنة 1045هـ/ 1635م[2] بقصر غرداية .

2- عائلته ونسبه :

أ- إخوة الشيخ مُحَّد بن أبي القاسم المصعبي[3] :

لقد أفادتنا مخطوطة أبناء الشيخ أبي القاسم التي هي بخط يد الأب أبي القاسم بمعلومات مهمة تتعلق بأغلب أسماء أبنائه - هم إخوان مُحَّد بن ابي القاسم - مع تواريخ ازديادهم رغم ما فيها من بتر في بعض أطرافها سعينا في ما يتعلق بالتواريخ إلى اعتماد التقريب و القرائن المتعلقة بمن كان تاريخه واضحاً ، وهي على التوالي :

يحي بن أبي القاسم ولد صبيحة يوم الخميس 11 جمادى الأولى 10 مارس1071هـ.

مامه بنت أبي القاسم ولدت ليلة الإربعاء 19 رجب 24 فيفري 1073هـ.

مُحَّد بن أبي القاسم ولد ليلة الجمعة 20رجب 27 جانفي1075 هـ.

مريم بنت أبي القاسم ولدت ليلة 26 صفر 01 أوت [هكذا] (؟) 107هـ، بمعنى [بعد1075هـ وقبل 1081 هـ][4].

يحي بن أبي القاسم ولد ليلة الأربعاء29 شوال ، أواخر فيفري1081هـ.

أحمد بن أبي القاسم ولد ليلة الثلاثاء 05 ربيع الأول 25 أفريل 1089هـ.

أحمد بن أبي القاسم ولد يوم 28 رمضان بين [1089 و 1100هـ].

---

[1] مؤسسة الشيخ عمي سعيد، ،فهرس الخزانة العامة ،الرقم في الخزانة: د. غ40.

[2] قام الأستاذ بشير الحاج موسى بهذه العملية الحسابية لاستخراج سنة ميلاده، و ذكرها في كتابه ، المرجع السابق، ص9.

[3] أنظر الملحق رقم 05.

[4] الملاحظ أن التواريخ بذكورة بتسلسل والوثيقة الأصلية مخرومة و لم يبق من تاريخ ازياد مريم سوى ?107هـ.

عيسى بن أبي القاسم ولد في جمادى الأولى 1100هـ.

مُحَمَّد بن أبي القاسم ولد ليلة الثلاثاء أواخر شهر صفر بعد [1100هـ].

من خلال الوثيقة المتوفرة يعتبر المترجم له مُحَمَّد بن ابي القاسم المولود سنة 1045هـ أكبر إخوانه ،وما يلاحظ كذلك في هذه الوثيقة تكرار أسماء أبنائه مثل : مُحَمَّد سماه مرتين إضافة إلى مُحَمَّد صاحب الترجمة أي ثلاثة و يحي مرتين و أحمد مرتين ،قد يعود السبب في ذلك إلى وفاة المتقدمين من أصحاب الأسماء المكررة وهو الاحتمال الأقوى أو إلى تعدد الزوجات الشيخ أبو القاسم [1].

ب- أبناء الشيخ مُحَمَّد بن أبي القاسم :

خلف مُحَمَّد بن أبي القاسم حسب الوثائق المتوفرة اثنان من البنين وبنت واحدة [2]وهم على التوالي :

-أبو القاسم بن مُحَمَّد بن أبي القاسم: الذي لم يعرف عن تاريخ ميلاده ووفاته ولكن باعتبار منسوخاته التي خلفها فلم تذكر المصادر تواريخ نسخه سوى سنة واحده وهي : 1134هـ[3] فيها نسخ 08 منسوخات في عام واحد مما قد يشير إلى أن وفاته جاءت بعد ذلك بقليل .

-يحي بن مُحَمَّد بن أبي القاسم: المعروف "بالشيخ بابا" أو "بابه بن مُحَمَّد" (ولد: قبل 1129هـ/1716م ، ت: 1207هـ/1792م) .

-ابنته التي لم ترد تفاصيل عن اسمها أو ميلادها في المصادر المتوفرة سوى ما وجدناه في كتاب بشير الحاج موسى حيث ذكر أن الشيخ مُحَمَّد بن ابي القاسم عزم على تزويجها لأحد تلاميذه[4].

وفاته ومقامه :

استناداً إلى قصيدة مخطوطة[5] بخط الناظم مُحَمَّد بن أبي القاسم بعنوان "أحكام غيوب الحشفة"[1] في في الفقه ، وجدنا في آخرها إضافة لأحد المطلعين عليها ، وقد تكون لأحد تلامذته ما نصه "توفي

---

[1]يوسف خنفر :شرح الأجرومية تأليف ابي القاسم بن يحي بن أبي القاسم الغرداوي المصعبي (ت 1102هـ) تحقيق ودراسة ،مذكرة ماجيستير ،جامعة قاصدي مرباح ،ورقلة-الجزائر،2010م،ص36.

[2]أنظر الملحق رقم 05.

[3]الياس بابانجار:المرجع السابق ، ص62.

[4]بشير الحاج موسى :المرجع السابق ،ص22.

[5]مؤسسة الشيخ عمي سعيد ،فهرس الخزانة العامة ،الرقم في الفهرس: د. غ152.

الشيخ حمو والحاج رحمه الله سنة 1129 من هجرة الرسول عليه السلام" ، وهو ما يوافق سنة 1716م ، عن عمر ناهز 84 عاما بعد مسيرة حافلة في خدمة الدين والعلم والمجتمع، ترك خلالها بصمات خالدة خلود أعماله الفكرية و الاجتماعية ومنجزاته العمرانية .

دُفن[2] بجوار والده بمقبرة الشيخ بابا صالح بغرداية[3]، رثاه تلميذه الشيخ بعمور بن الحاج مسعود بقصيدة لم نصل اليها ولكن ذكرها الشيخ باسه[4]،وقد خلفت وفاته أيضا فراغا رهيبا وثلمة لم تسد وهذا ما أظهره الشيخ سعيد بن يحي الجدوي الجربي[5] في رثاء الشيخ مُحَّد بن أبي القاسم بقصيدة من بحر الطويل في 28 بيتا جاء فيها :

وَشعلةُ نارٍ في فُؤَادي تعاظمَتْ وَصُمتْ لَهَا الأَذَانُ وَالعَيْنُ أَرْمدتْ

وَدَمع غزير قد تطاول جريـــه على الخَدِّ مغرقًا به قد تفجَّـــرتْ

وَعيل لنا صبر وشُتتَ أمـــــرنا وصرنا بقايا حِلف سوء تقطَّعتْ

وغيّرت الدُّنيا وزال سعـــــادها وكدّرت الأيام لما تغلَّبـــــتْ

وكنَّا جمَيعا في هَنـــــاء وراحـــة ولذة عيش والصدور توسَّعـتْ

الى أن أتى النّاعي من الغرب مخبرا بفقد عميد الدّين والعدّة انقضت

---

[1]توجد نسخة منها بحوزتنا .

[2]انظر الملحق رقم 06.

[3]هي من المقابر القديمة بغرداية تقع في الجهة الشرقية من قصر غرداية و هي الوحيدة الملاصقة بالقصر بمحاذات وادي مزاب ، وحينما زرنا قبر الشيخ مُحَّد بن ابي القاسم لاحظنا ان قبره تميز ببناء محراب صغير على جانب رأسه تعلوه خمس نتوءات تشبه تلك الموجودة في أعلى الصومعة وهو تقليد متعارف عليه لدى المزابيين يدل على مكانة صاحب القبر اما النتوؤات الخمسة فهي تدل على أنه شيخ الوادي .

[4]أكد وجود هذه المرثية الشيخ باسه الذي طلب العلم عند الشيخ برفقة الشيخ بعمور "قال الشيخ العالم العلامة عمنا بعمور بن الحاج مسعود يرثي شيخه مُحَّد بن الحاج أبي القاسم بن يحي الغرداوي " للمزيد ينظر : بشير الحاج موسى ، المرجع السابق ،ص 36.

[5]سعيد بن يحي الجادوي الأجيمي "أبو عثمان"(حي بين :1103-1147هـ/1692-1734م): من مشايخ جزيرة جربة بتونس قال عنه تلميذه الباروني الفائق في العلوم المعقولة والمنقولة ، أخذ العلم عن شيوخ زمانه ،كأبي الربيع سليمان بن أبي سته ،وبلغ فيه شأنا عظيما ،فتصدر التعليم والتأليف ،ورد الشبه ودافع ضد مطاعن الحاقدين على مشايخ عصره ومذهبهم ،خلف مجموعة من الآثار الشعرية والفتاوي والأجوبة الفقهية، للمزيد ينظر :مجموعة مؤلفين : المرجع السابق ،ص 186.

فأضرم نارًا في حشا كل مُتّـــــقٍ وجدّد حزنا والقلوب تصــدّعت

لبسنا سرابيل الأسى وتهدّمـــــت بمدفنه كلّ المـآثر وانمحـــــت

وضاقت نفوس القوم واشتدّ حزنها وفاضت دموع العين فيضا وأكثرت

على عمدة الدّين والإسلام والتقى منار الهدى شيخ المشائخ قد بكت

مُحَمَّدنا السامي الأرومـة سيـــــد ومأوى الضعيف والأرامل حظيت

بغرداية شاد العلوم وبثهـــــــا بتدبير أستاذ إمام قد أحصيـــت

به الأمر بالمعروف قامت قناتـــه جهارا وأنف باغضيه تجدعـــت

أساس الورى عدلا ووعظا مؤثــرا وأوسعهم فتيا ونارت وأرضخت

سبيل الهدى أهدى إلي الحق مرشدا بني مصعب أنوارهم قد تتابعت

مصيبته جلت وعمت وأذهبـــت مجالس أهل الحق غربا وشرقـت

قواعد مذهب الإباض تخرمـــت وصارت هباء والعلوم تصاعبت

على كل مشغول شقي مذبـذب حليف الهوى دنياه لاشك أدبرت

وفرط في الخيرات لا خير يرتجـى لديه وعنده الشرور تجمعـــت

فلا طالب ندب أديب مهــذب يحدد أسباب المآثر قد بنـــــت

رضينا وأسلمنا الأمور جميعهـــا لخالقنا ذي حكمة قد تقدمــت

قضا بفناء الخلق طرا وعـــــوده لبعضهم نصية قد تحققـــــــت

و يا شامتا بالموت أقصر فإنـــه سيأتيك مقهورا ونفسك أزهقــت

وتسكن في الأطباق أرضا وحفرة مسودة فيها الشقاوة هيئـــــــت

وتجزي بعقبي ذي الشماتة جزية وبعدا وأهوالا الى لرمسك أقبلـــت

لنا خلف يحمي الديار وقـــادة مصابيح في الظلماء ضاءت وعرفت

سلوك سبيل العلم والحلم والتقى هداة الورى في العلم جدت وعلمت

فهذا وصلى الله ما لاح بـــارق على المصطفى به الأنام تشرفـــت[1].

مقامه :

خُلّد الشيخ مُحَّد بن أبي القاسم بعد وفاته بمقام مخروطي الشكل يتوسط ساحة واسعة بيضوية الشكل تسمى المحضرة (محضرة الشيخ حمو والحاج) تقع بشمال واحة غرداية مقابل مسجد الوادي ، يجتمع فيه الناس لمناسبات دينية واجتماعية، وروي أنه مكان ظهرت له فيه كرامة مشهورة لصدقه وورعه[2] .

المبحث الثالث: حياته العلمية:

نشأ مُحَّد بن ابي القاسم المصعبي كغيره من أبناء منطقة وادي مزاب ، في بيئة محافظة تحكمها قيم مستوحاة من الشريعة الإسلامية وفق المنهج الإباضي و تنظيمات اجتماعية تضبط حياة الفرد والجماعة ويشرف على كل ذلك المسجد الذي يعد أساس كل الوظائف الدينية والاجتماعية في وادي مزاب ، وقد تربى في أسرة عريقة في الدين و الورع و العلم أبًا عن جد ، و يذكر الشيخ مُحَّد بن ابي القاسم في قصيدة له صفات و اخلاق كان أبوه يلتزم بها أمام الرعية وينصح بها غيره ويحرضهم بها في مجالس العلم و مواطن الذكر ، وهو ما يُبين مدى التزامه بها عند اهله و ذويه ومما جاء فيها :

يكابد الليل الطويل علـــــى الصلاة والعلوم والبـــــر

يكثر الصيام في كل مـــــا يوم شديد الطول والحـــر

يجاهد النفس على ما اشتهت وليس يصغي الأذن للنكـــر

يحرض الناس على دينهـــــم يأمرهم بالفعل للخـــــير

ينهاهم عن كل معصيـــــة ومنكر جهراً وفي ســـــر

---

[1] سالم بن يعقوب: تاريخ جزيرة جربة ومدارسها العلمية ،إعداد :فرحات الجعبيري، سراس للنشر ،تونس ،2006م،ص ص 273-274.

[2] بشير الحاج موسى :المرجع السابق، ص22، للمزيد ينظر أيضا :مُحَّد علي دبوز : نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة ، المرجع السابق، ص 251.

الى أن يقول :

يعظهم وعظا بليغـــــــا ولا أرى له مثلا مدا الدهـــــر[1].

تدرج مُحَّد بن أبي القاسم في أطوار التعليم كغيره من المتعلمين حسب النظام المتعارف و المعمول به بالمنطقة في تلك الفترة ، فكان أي تلميذ إذا بلغ مرحلة التلقي يصطحبه أبواه الى الكتاب (المحضرة)ليتعلم كتابة الحروف الهجائية ورسمها ثم مبادئ اللغة العربية مع حفظ القرآن الكريم بداية من سورة الفاتحة ،فينتقل من مبتدأ مشتغل بحفظ القرآن الكريم في الكتاب (المحضرة) إلى إستظهاره القرآن الكريم ثم يتوجه بعدها الى دار التلاميذ (ايروان) فالنظام المعروف حينها، عند دخول (إيرو) جديد لحلقة إيروان كان يقوم عريف [2]إيروان ويكتب له في (تلويحت) أي اللوح الصغير هذه الجملة "الحمد الله الذي مسك السماء بغير عمد" وهي عقيدة العزابة المستوحاة من عقيدة عمرو بن جميع[3] ،التي كانت تحفظ متنا بعد إستظهار القرآن الكريم لأن فيها مسائل التوحيد، وبعد أن يتمها يحضر حلقات الشيخ لشرح المتون و تلقي غيرها من العلوم [4]و يشير المؤرخ ابو القاسم سعد الله في كتابه تاريخ الجزائر الثقافي إلى تلك المراحل فيقول: " وفي مزاب حيث المساجد هي أساس التعليم، ولا وجود للزوايا ،نجد التلميذ ينتقل من التعليم القرآني (...)وعادة كان التعليم يعطى في دار العلم أو دار التلاميذ (هيئة إيروان) تحت اشراف العزابة ،وبرنامج هذه المرحلة غني (...) فهو يشمل العلوم الدينية من فقه وتوحيد و أصول الفقه ، و التفسير والحديث والفرائض، ثم العلوم

[1] مؤسسة الشيخ عمي سعيد، فهرس خزانة الشيخ صالح بن كاسي ،الرقم في الخزانة : ش ص/د غ112. وهي مرثية في حق أبيه أبي القاسم بن يحي المصعبي.

[2]، عرفاء: جمع عريف ،هم المساعدين للعزابي المشرف على مهمة التعليم في الحلقات ومن مهامهم تعليم القرآن الكريم ،تنظيم أوقات الدراسةالختمات ،الخدمات من اطعام الطلبة وغيرها ،للمزيد ينظر:بلحاج معروف :المرجع السابق ،ص183.

[3]عمرو بن جميع "أبو حفص" (ق:7هـ/13م) : أخذ العلم عن الشيخ أبي العباس أحمد الدرجيني –صاحب الطبقات–كان إماما مشهورا متكلما وعالما منظورا وكان من كبار المدرسين بجامع تيفروجين بجزيرة جربة ،قام بترجمة (عقيدة التوحيد) –المنسوبة إليه–من البربرية الى العربية التي ألفت في أواخر القرن الثاني من الهجرة ،وهي أولى المتون التي كان يحفظها التلاميذ في جميع قصور وادي مزاب ،وقد شرحها الكثير من العلماء ، للمزيد ينظر: مجموعة مؤلفين :المرجع السابق ،ص 317.

[4]– شريط مسجل :بشير الحاج موسى: الشيخ حمو والحاج الغرداوي حياته وآثاره الفكرية و المعمارية ، تظاهرة ذكرى المشايخ لطبعته الثانية ، قسنطينة–الجزائر ،22 أفريل 2018م. .

العربية و العقلية كالنحو و البلاغة و العروض و المنطق والحساب، وكانوا يعنون بالحساب لعلاقته بالفرائض(...)، أما التعليم العالي فيتلقونه على بعض الشيوخ البارزين "[1].

أ- علاقة الشيخ مُحَمَّد بن أبي القاسم العلمية بأبيه :

نشير في هذا العنصر إلى المصادر التي تلقى الشيخ مُحَمَّد بن أبي القاسم عنها العلم ، ذكرنا سابقاً المصدر الأول في تلقيه لمبادئ العلوم وتدرجه في ذلك ، و من أبرز مصادر تعلمه عبر مراحل حياته التي يمكن أن نقول عنها الوحيدة التي توصلنا إليها وركزنا عليها في هذا الموضع تلقيه العلم عن والده الشيخ أبي القاسم ، و ما وجدناه صريح اللفظ واضح المعنى في ذكره عمن أخذ العلم هي تلك الأبيات التي وجدناها في تحقيق جواب بعنوان : رفع اللبس عن شخصية الحاج حمو الحاج ووالده ، لصالح بن علي اليسجني (ت 1928م) جاء فيها :

أخذت على أبي وقدوة مـــــــذهبي وشيخي و أستاذي أخي العلم والعلا [2].

ومن هذا البيت نستخلص عدة أفكار تشير إلى متانة العلاقة الأبوية و العلمية بينهما، فكان نعم الأب في تربية أبنائه من صلبه ، وقد كان الأب أبو القاسم نعم القدوة ، كما كان الإبن مُحَمَّد خير بار بوالده ، ويبدوا في ذلك تأثره بأبيه في صفاته و أخلاقه و ذكر ذلك في أبيات في قصيدة أخرى مشيراً إلى مكانة الأب و المعلم أبو القاسم العلمية و الدينية و الاجتماعية ومما جاء فيها :

ومدح ذي العـلم الغزير وذي التقوى لرب العرش في العسر
فسره كجهره قد صفـــــى بل سره أصفى من الجهـــــر

في هذين البيتين يبدي مديحاً لأبيه مشيراً لغزارة علمه و تقواه و ورعه الكبير .
إلى أن يقول :

يرغبهم في الصدقات على المسكين واليتيم ذي الفـقـر.

يشير في هذا البيت مدى حرص أبيه على الشفقة في الضعيف والمسكين واليتيم وترغيب الناس على الالتفات إلى هذه الفئة من المجتمع و ضرورة التكافل معهم .

[1] أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص62.

[2] ملاحظة :قام بتحقيق الجواب الاستاذ بشير الحاج موسى بملحق في مؤلفه : المرجع السابق ،ص32.

ثم يقول :

أراه كالمزن سمـــــا ظلـــه يمطرنا في السهل والوعـر
فالآن قد زال فيا ويحكـــم فابكوه بالمقلة والشفـــر
قد كان في كل العلوم لـــه فكر ذكـي أيمـا فكـــر
قد كان في النحو لنا عمدة يدخلنا في كل ما بحـــــر
كسيبويه مثله الفارســـــي وابن هشام فاستمع شعـر
وكان في المنطق ذا حجـــة وذا قياس غير ذي دعـــر[1]

هذه الأبيات تظهر بوضوح مكانة الشيخ ابو القاسم العلمية و رسوخ قدمه في مختلف الفنون و العلوم كما تظهر مدى تأثيره في طلبته و منهم ابنه مُحَّد الذي نظم هذه القصيدة في 50 بيتاً سيأتي تفصيلها في الفصل الثاني من هذه الدراسة .

بعد سردنا لنماذج من مكانة الشيخ أبو القاسم العلمية في نظر ابنه مُحَّد فإننا نطرح عدة تساؤلات عن شخصية الأب و مصادر تعلمه و آثاره العلمية :

-تعريف الأب :

هو أبو القاسم بن يحي بن أبي القاسم بن مُحَّد بن موسى بن يحي بن مُحَّد بن يونس بن علي المصعبي (الغرداوي)، شخصية علمية و اجتماعية راسخة في العلم و الدين . ولد الشيخ أبو القاسم قبل سنة 1048هـ [2]، و أما عن وفاته فتقدر بحوالي 1102هـ الموافق 1690م[3].

لاشك أن الشيخ أبا القاسم بن يحي في مستواه العلمي وتمكنه المعرفي ، قد أخذ العلم عن عدة مشايخ محليين كما يمكن أنه قصد جربة للاستزادة في العلم [4]،و له مراسلات علمية مع علماء جربة وعمان [5]،ويذكر بنفسه أنه أخذ العلم على كل من :

---

[1]مؤسسة عمي سعيد :فهرس خزانة الشيخ حمو بابا وموسى، الرقم في الخزانة : د غ 31. وهو جزء من قصيدة رثاء مُحَّد بن أبي القاسم لأبيه .

[2]خنفر يوسف: المرجع السابق ،ص 23.

[3]نفسه ، ص37.

[4]الياس بابا نجار: المرجع السابق ،ص 68.

[5]نفسه ،ص 69 .

ابو الربيع سليمان ابن عبدالله الصدغياني ت1077هـ[1]:

يقول فيه الشيخ ابو القاسم في قصيدة رثاء :

أتى النعي من الجزيرة مقبـــــــلا بأن شيخي توفي وأقبـــــلا

ويا نفس فلتبكي التياعا على الذي يعلمني مضى سريعا معجـلا

فيا ويح نفسي طال وجدي على الذي يعلمني أضحى دثيــرا مرملا.[2]

أبو عمران موسى بن مُحَّد التجنيني المصعبي [3]:

ذكر الشيخ أبو القاسم أنه أخذ عنه العلم حيث قال : "أخذ أبو القاسم بن يحي المصعبي الغرداوي عن شيخه موسى بن مُحَّد التجنيني عن الشيخ عيسى بن سليمان اليسجني (...)"[4].

ويؤكد أبو القاسم أخذه عن شيخه أبو عمران في قصيدة أخرى طويلة بلغت أبياتها مائتين ،نظمها احتفاء بزيارة الشيخ أحمد بن يحي العماني لوادي مزاب ومما جاء فيها:

أخذته عن سيدي وسندي وقدوتي هو أبو عمران

موسى سليل مُحَّد المصعبي أستاذنا ذو العلم والبيان [5].

صالح بن أبي القاسم :

أما تعلمه عند الشيخ صالح بن أبي القاسم فقد أوردها الشيخ أبو القاسم بن يحي في مقدمة جوابه عن سلسلة نسب الدين عند الإباضية و كذا في قصيدته المرفقة التي أشرنا اليها سابقا ، فمن تصريح الشيخ أبي لقاسم في وثيقة عنوانه "هذا نسب مذهبنا واحد عن واحد ثقة عن ثقة من

[1] من علماء جربة بتونس ، تولى حلقة العزابة بجربة ،كان مدرسا بمسجد "مدراجن" وممن ترأس المجامع العلمية فكانت الشورى ترجع اليه والفقهاء يجتمعون حوله. توفي في 03 من رجب 1077هـ ، للمزيد ينظر: مجموعة مؤلفين ،المرجع السابق،ص205.

[2] سالم بن يعقوب :المرجع السابق،ص335.

[3] لم نجد تعريف عن الشيخ أبو عمران موسى التجنيني .

[4] جمعية ابي اسحاق اطفيش : فهرس خزانة الشيخ القاضي الحاج بابكر، الرقم في الفهرس: 564-19، وهو مخطوط لأبو القاسم بن يحي المصعبي، بعنوان هذا نسب مذهبنا واحد عن واحد ثقة عن ثقة من زماننا الى نبينا مُحَّد ص.

[5] جمعية ابي إسحاق اطفيش: فهرس خزانة الشيخ القاضي الحاج بابكر ، الرقم في الفهرس:19-564، وهي قصيدة نسب الدين لأبو القاسم بن يحي الغرداوي.

زماننا إلى نبينا مُحَمَّد [ص] أخذ أبو القاسم بن يحي المصعبي عن شيخه صالح بن أبي القاسم عن الشيخ الحاج مُحَمَّد بن سعيد اليسجني (...)".

ثم أوردها نظما في قوله :

أيا سائلا عن نسبة الدين هاك ما طلبت بعون الله قولا منظمـــا

أخذته عن الشيخ المكرم صالـح عن والده أعني أبا الفضل قاسما [1].

الآثار العلمية للشيخ أبي القاسم بن يحي :

عند التأمل فيما وصلنا من آثار الشيخ أبو القاسم بن يحي المتنوعة المكتوبة منها بين الفقهية واللغوية نثرا وشعرا نسخا وتأليفا ،أهمها شرح على الآجرومية[2] في علوم اللغة التي وجدنا بعضهم ينسبها لابنه مُحَمَّد أمثال أبي اليقظان[3] ،صالح بن عمر لعلي اليسجني[4] ،مُحَمَّد علي دبوز[5]. وهو ما قد قد يشير إلى شهرة الشيخ مُحَمَّد بن أبي القاسم العلمية أو ربما بادر إبنه بإخراج شرح على الآجرومية بعد وفاة والده و درسّها ونشرها بين طلبته وغيرهم، رغم ذلك فهي تدل مكانة أبو القاسم ومستواه العلمي المتميز الذي أهله لترك آثار علمية نذكر منها :

- منسوخاته التي بلغت 83 منسوخة[6].
- له منظومة في اللغة مبتورة بقي منها ستة أبيات[7] .
- كتاب في الحقوق والترغيب والترهيب[8].
- كتاب مجالس الوعظ [9].

---

[1] جمعية ابي إسحاق اطفيش: فهرس خزانة الشيخ القاضي الحاج بابكر ، الرقم في الفهرس: 19-564.

[2] يوسف خنفر: المرجع السابق ،،ص،ص 9، 32.

[3] إبراهيم أبو اليقظان : المرجع السابق ،ص57.

[4] بشير الحاج موسى : المرجع السابق ،ص ص 25-26.

[5] مُحَمَّد علي دبوز :نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة ، المرجع السابق،ص251.

[6] الياس بابا نجار :المرجع السابق، ص61.

[7] جمعية ابي إسحاق اطفيش: فهرس خزانة الشيخ القاضي الحاج بابكر،الرقم في الفهرس : 242.

[8] مؤسسة عمي سعيد: فهرس الخزانة العامة ،الرقم في الفهرس :186.

[9] مؤسسة عمي سعيد :فهرس الخزانة العامة ،الرقم في الفهرس: 189.

- قصيدة في الشوق الى جربة وشيخها أبي زيد[1] .
- كتاب الفضائل في الترغيب والترهيب وهو مجموعة من بعض الكتب[2] .
- مجموع مقتطف من كتب شتى في الفقه والوعظ والحكمة وهو مخطوط[3] .
- تقييد تنظيمات وسير حلقة العزابة لأهل غرداية.
- منظومات في نسب الدين[4] .

ومن خلال مسيرة الأب ابي القاسم بن يحي الطويلة في ميادين العلم يظهر لنا جليا أن له تأثير بارزا في تكوين شخصية الشيخ مُحَّد بن أبي القاسم الإبن العلمية والفكرية والاجتماعية .

ب- علاقات الشيخ مُحَّد بن أبي القاسم بجربة وعمان :

إضافة إلى علاقاته العلمية الداخلية المتمثلة في تواصله المستمر مع مشايخ و علماء قصور وادي مزاب [5] خاصة حينما تولى منصب كاتب "مجلس عزابة و طلبة وعوام وادي مزاب "ثم تقلد مشيخة وادي مزاب ، كانت له علاقات خارجية مع مواطن الإباضية مغرباً و مشرقاً :

بالنسبة لجزيرة جربة فإن للشيخ مُحَّد بن أبو القاسم مراسلات مع بعض علمائها و مشايخها مثل الرسالة التي حررها بإسم مجلس عزابة وادي مزاب إلى شيخ حلقة عزابة جزيرة جربة أبي زيد إبن أبي ستة الجربي [6] .

حيث جاءت في مقدمة نثرية ثم أبياتا شعرية مما جاء فيها :

مني سلام عليكـــــم مدة الأجــل ياأهل جربة قولا غير منصرم

---

[1] مؤسسة عمي سعيد: فهرس الخزانة العامة، الرقم في الفهرس: 622.

[2] مؤسسة عمي سعيد :فهرس الخزانة العامة ،الرقم في الفهرس: 418.

[3] مؤسسة عمي سعيد :فهرس الخزانة العامة ،الرقم في الفهرس: 434.

[4] جمعية ابي اسحاق اطفيش : فهرس خزانة الشيخ القاضي الحاج بابكر ، رقم الفهرس :564.

[5] مثل مراسلاته مع إباضية الساكنين بمدينة الجزائر ،وبعض حلقات العزابة وادي مزاب ، توجد نسخة مخطوطة من هذه المراسلات بمكتبة ،ج.عيسى بن مُحَّد بومعقل بوارجلان، للمزيد أنظر: بشير الحاج موسى: المرجع السابق،ص16.

[6] أبو زيد بن أحمد بن أبي ستة (ت:1100هـ/1688م): فحل من فحول العلم ،وأحد أقارب المحشي أبي ستة مُحَّد بن عمر بن أبي ستة الجربي وعليه تتلمذ ،تعلم في جربة مسقط رأسه ،ثم انتقل الى مصر ودرس بالمدرسة الاباضية بها وبالأزهر ،ثم رجع الى جربة وساد عليها ،ترأس الحلقة بجربة وهو أحد علماء الثلاثة الذين اعتنوا بوضع "حاشية على كتاب شرح الجهالات" في العقيدة وعلم الكلام لأبي عمار عبدالكافي الورجلاني . توفي في طريق الحج سنة 1100هـ/1688م ،للمزيد أنظر :مجموعة مؤلفين ،المرجع السابق ،ص 164.

يعم من كـــان ذا علـــم وذا ورع ومن يقلد في الأفعال والكلم

مني السلام على الشيخ الفقيه ابي زيد أخي ورع في الدين والوسم.

الى أن يقول :

وددت لو كنت حاضرا بمجلسكم أجني به من ثمار العلم والحكـــم

حتى أفوز بعلم كنـت جاهـــله يجلي الصدى عن جناح ودجى الظلم[1].

وللشيخ مُحَمَّد بن ابي القاسم قصيدة في رثاء الشيخ ابي زيد بن أبي سته :

جاء في مطلعها:

أتى النعي من نحو الجزيرة مخبراً بان ضياء الدين أضحى معفراً

ونور ذوي الإسلام أصبح كاسفاً وروض العلوم يابساً حين أقبرا[2].

كما ذُكر الشيخ مُحَمَّد بن أبي القاسم في رسالة بعثها تلميذه باسه بن موسى بن الحاج دود الورجلاني إلى الطلبة المزابيين بجربة و قد صدر الرسالة باسم الشيخ سعيد بن علي الجدوي[3].

ولمكانة الشيخ مُحَمَّد بن ابي القاسم في نفوس شيوخ الجربين وعلاقاتهم الوطيدة بينهم ، رثاه الشيخ سعيد بن يحي الجادوي ومما جاء فيها :

وغيرت الدنيا وزال سعادها وكدرت الأيام لما تغلبـــــت

وكنا جميعا في هناء وراحـة ولذة عيش وصدور توسعـــت

الى أن أتى الناعي من الغرب مخبرا بفقد عميد الدين والعدة انقضت .

من خلال القصيدة الميمية التي نظمها مُحَمَّد بن أبي القاسم في ستين بيتاً ، في عهد السلطان العماني ابن يوسف[4] حيث ذكره فيها مادحاً إياه وأهل عمان عامة [5]، وللشيخ مُحَمَّد بن أبي القاسم القاسم قصيدة أخرى لامية يمدح فيها إماماً من أئمة أهل عمان [6].

---

[1] سالم بن يعقوب: المرجع السابق، ص ص 381-382.

[2] سالم بن يعقوب :المرجع السابق ،ص 379.

[3] إبراهيم أبو اليقظان :المرجع السابق، ص72.

[4] لم نتوصل الى تعريف هذا السلطان .

[5] للمزيد أنظر :بشير الحاج موسى: المرجع السابق ص13.

[6] ذكر ذلك ابن الشيخ مُحَمَّد بن ابي القاسم (الشيخ بابه) في مستهل قصيدة مدح للشيخ عمرو بن رمضان الجربي التلاتي لما كان بمصر، اورد منها أربعة ابيات وهي مخطوط ضمن مجموعة بمكتبة الشيخ حمو بن باحمد بابا وموسى ،للمزيد ينظر بشير الحاج موسى : المرجع السابق، ص14.

بعد استعراضنا لهذه النماذج نخلص إلى عمق العلاقات العلمية بين الشيخ مُحَّد بن أبي القاسم و جزيرة جربة الممثلة في علمائها ومشايخها من حاضرة الإباضية في المغرب الإسلامي من جهة ، ومن جهة أخرى مع عمان ممثلة في عدة شخصيات منها سلاطين و أئمة من حاضرة الإباضية في المشرق الإسلامي ، يتجلى لنا اتساع آفاقه المعرفية و العلمية و علاقاته الشخصية ، التي كانت إحدى روافد صقل شخصيته و تكوينها.

بعد إتمامنا لعرض محاور الفصل الأول الموسوم بـ حياة الشيخ مُحَّد بن أبي القاسم المصعبي توصلنا إلى أبرز النتائج التي نوجزها فيما يلي :

– للبيئة الطبيعية دور في نشأة الأفراد وتكوينهم الفكري من خلال ما تفرضه عليهم من تحديات تدفعهم لإيجاد سبل لمواجهتها .

– ساهم التنظيم الديني و الاجتماعي بوادي مزاب ممثلا خاصة في هيئة حلقة العزابة في الحفاظ على الطابع الديني للمجتمع، مما أنتج علماء ومشايخ في مختلف العصور من بينهم شخصية البحث.

– لمكانة الوالدين دوراً أساسياً في نشأة الأبناء وتكوينهم المعرفي والسلوكي و هذا ما لاحظناه في علاقة الأب أبو القاسم بابنه مُحَّد .

حينما تتعدد مصادر المعرفة أمام طالبها فإنه لا يكتفي بما يمليه عليه شيخه الأقرب إليه ،بل يبادر إلى ربط علاقات علمية بعلماء خارج دائرة بيئته الضيقة ، فهو بذلك يسهم في تطوير قدراته و فتح آفاق معرفية أوسع وهذا ما لاحظناه رغم صعوبة ظروف التواصل آنذاك .

مما تقدم فإننا نجد أن الشيخ مُحَّد بن أبي القاسم بن يحي قد نشأ في بيئة جغرافية قاسية و بيئة اجتماعية خاصة ميزها المذهب الإباضي والتنظيمات الدينية و الاجتماعية التي كان لها دور كبير في ربط أفراد المجتمع بهيئاتهم كما أن لها دور في قيام نهضة علمية أبرزت علماء في شتى المجالات ، رفعوا التحدي وقادوا هذه النهضة التي استمرت لفترات طويلة، من هؤلاء العلماء الشيخ مُحَّد بن ابي القاسم الذي سنفصل في إنتاجه العلمي من خلال الفصل الثاني .

الفصل الثاني: الآثار العلمية للشيخ مُحَمَّد بن ابي القاسم المصعبي.

المبحث الأول : تلاميذه.

المبحث الثاني : الآثار العلمية في الشريعة وعلومها.

المبحث الثالث : الآثار العلمية في اللغة ومختلف الفنون.

الفصل الثاني: الآثار العلمية للشيخ مُحَّد بن ابي القاسم المصعبي.

المبحث الأول : تلاميذه.

لما وصل الشيخ مُحَّد بن أبي القاسم بن يحي إلى مراحل متقدمة من التحصيل العلمي تألق نجمه فصار من أهل العلم والصدارة ، فرفعه الله درجات في العلم فانطبق عليه قوله تعالى :﴿ يَرْفَعِ اللهُ الذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَاللَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَات ﴾[1]، وهو ما مكنه من أن يتولى مهنة الأنبياء والرسل وهي التعليم وإيماناً منه بأهمية القراءة في حياة المسلم فهي فريضة و أمر إلهي يدل على الوجوب استناداً إلى قوله تعالى : ﴿ إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الذِي خَلَقْ¤خَلَقَ الإنْسَانَ مِنْ عَلَقْ ﴾[2] ، اتخذ الشيخ مُحَّد بن أبي القاسم التدريس رسالته الأولى في الحياة فقد عاش من أجلها إلى آخر أيام حياته ، مدركا بأهميته في الإصلاح الديني و التوجيه الاجتماعي التي لابد أن تمر عبر التدريس ، فشمر عن ساعد الجد ووفر جل أوقاته وطاقته وبما أوتي من زاد في مختلف الفنون ، متحدياً بعزيمة وصبر كل الصعاب من "ترادف الفتن و تتابع المحن "[3] مقاوما الجهل والجمود الفكري ، لتثمر جهوده الطويلة أبناءً متخرجين من مدرسته من صلبه و من غيرهم ، وقد برزوا في ميادين عدة منها التعليم و الفتوى و التأليف والعمل الاجتماعي، ومن هؤلاء نذكر :

1.الشيخ باسه بن موسى بن الحاج داود الورجلاني(ت :1175هـ/1761م) :

أخذ مبادئ العلوم في مسقط رأسه وارجلان[4] ، ثم قصد وادي مزاب للتزود من العلم فاستوطن فاستوطن به، فلازم أستاذه الشيخ مُحَّد بن ابي القاسم لتلقي العلم[5] ،وقد أشار إلى ذلك باسه نفسه نفسه في رسالة وجهها إلى إخوانه المزابيين كانوا يدرسون في جزيرة جربة بتونس، فجاء في صدر الرسالة ذكر مشايخه و الطلبة ممن معه منهم أستاذه الشيخ مُحَّد بن أبي القاسم ومن الطلبة بعمور بن الحاج مسعود –أحد زملائه في الدراسة سيأتي تعريفه– وقد أشار إلى ذلك الشيخ ابراهيم بو اليقظان في ملحق السير واصفا محتوى تلك الرسالة في قوله :"وكان كل واحد من المشايخ المومي

---

[1] القرآن الكريم: سورة المجادلة ، الآية 11.

[2] القرآن الكريم: سورة العلق، الآية 2،1.

[3] ابراهيم ابي اليقظان :المرجع السابق،ص73.

[4] يعتبر جد عائلة آل الشيخ باسه بوارجلان و أحفاده يعرفون حالياً بآل فقيه وعمي موسى ،للمزيد ينظر :مجموعة مؤلفين :المرجع السابق ،ص86 .

[5] درس أيضا عند الشيخ صالح بن ابراهيم ،للمزيد ينظر :مجموعة مؤلفين : المرجع السابق ،ص85.

[المشار] إليهم مقرونا بأوصاف عظيمة عالية تدل على منزلته السامية من العلم والورع والدين والخلق الكريم"[1] ، تولى رئاسة حلقة العزابة بوارجلان بعد رجوعه من وادي مزاب، وإشتغل بنسخ الكتب الهامة ، فترك خزانة كبيرة مملوءة بالمجلدات ،قال الشيخ علي يحي معمر" وقد رأيت كتباً كثيرة ، وأجوبة جمة بخط يده " وله مراسلات وأجوبة فقهية .

2. الشيخ بعمور بن الحاج مسعود :

لم تشر المصادر عن تاريخ ميلاده أو وفاته او تعريف له وقد اعتمدنا في إثبات تلقيه العلم عن الشيخ مُحَّد بن أبي القاسم على بعض القرائن و الأدلة نذكر منها: ذكر الحاج صالح بن عمر لعلي اليسجني (ت: 1928م) على لسان الشيخ باسه بن موسى الورجلاني مشيراً إلى أن الشيخ مُحَّد بن أبي القاسم درس بعمور بن الحاج مسعود :"قال الشيخ العالم العلامة عمنا بعمور بن الحاج مسعود يرثي شيخه مُحَّد بن الحاج أبي القاسم بن يحي المصعبي الغرداوي " [2] فرثاء الطالب لشيخه بعد وفاته عادة و سلوك وهو ما يثبته هذا القول ، ومما نستدل به ايضا رسالة الشيخ باسه التي أرسلها الى جربة –وقد ذكرنا تفاصيل الرسالة سابقا –ذاكراً فيها زميله بعمور بن الحاج مسعود و شيخه مُحَّد بن أبي القاسم .

3.الشيخ باكه بن صالح :حي بين (1050–1100هـ/1640–1688م)[3]:

هو من قرية الصوف (تلزضيت) قرب العطف وهو من تلاميذ الشيخ مُحَّد بن أبي القاسم كان يقطع من أجل طلب العلم مسافة تسعة كيلومترات من (تلزضيت) إلى غرداية ، وبعد أن تمكن من أصول العلوم وفروعها مما تلقاه عن شيخه مُحَّد بن ابي القاسم[4] ، فأجازه لتحمل مسؤولية مشيخة المسجد ، انتقل إلى قصر بنورة القديم فسكن به فكان شيخا فيها وهو أخوه باعيسى الذي كان مؤذنا بنفس البلدة و تذكر المصادر أن لهما أخ ثالث هو الشيخ بنور الذي تنسب إليه مقبرة سيدي بنور الإباضية بالعاصمة[5]، و من المرويات التي تنسب إليه حينما كان يتنقل بين

---

[1] ابراهيم ابو اليقظان: المرجع السابق،ص72.

[2] بشير الحاج موسى :المرجع السابق ،ص36.

[3] مجموعة مؤلفين :المرجع السابق ،ص78.

[4] ابراهيم ابي اليقظان :المرجع السابق،ص47.

[5] نفسه ص49.

العطف وغرداية ما ذكر أنه "كان كلما مر بمكان قرب بنورة شم منه رائحة طيبة فقص ذلك لشيخه- مُحَّد بن أبي القاسم- فقال له: لعله يدفن في ذلك المكان بعد رجل صالح، ولما توفي وهو في بنورة إذ ذاك ، دفن في ذلك المكان فكان قبره إلا أن يدخل الجنة رحمه تعالى" [1] .

تميز الشيخ مُحَّد بن أبي القاسم بفتح مجلسه لكل من قصده للتزود من العلم فلا فرق عنده بين غني وفقير أو بعيد وقريب ويثبت ذلك ما أورده في قصيدة له عند سؤال أحد المخالفين له في المذهب عن بعض أصول المذهب الإباضي ما جاء فيها قوله :

هلم إلينا إذا ما أردت شرب العلوم كما سلسل

وتجـــني ثمارا معسلة مدللة الغصن للمأكـــل [2].

لقد حظي بالتعلم على يد الشيخ مُحَّد بن أبي القاسم طلبة من المذهب المالكي الذين قصدوه من أماكن بعيدة لشهرته العلمية ومكانته الاجتماعية [3]، ممن أنس منهم حب العلم و سلوك الطهارة قولا وفعلاً ، فكانت تربطه بهم علاقات طيبة [4]، إلى حد ما ذكر في بعض الروايات الشعبية أن الشيخ مُحَّد بن أبي القاسم همَّ بتزويج ابنته لأحد هؤلاء التلاميذ[5] ،ولم تذكر المصادر تفاصيل عن ذلك ،وتشير بعض الروايات كذلك أن أحد تلاميذه المالكية لما ارتوى من معين علم الشيخ مُحَّد بن أبي القاسم و عزم على الرحيل ومغادرة حلقة الشيخ طلب منه الإذن في الرجوع إلى وطنه ،فرافقه الشيخ موادعا إياه.

لم تشر المصادر المتوفرة الى أن أبناء الشيخ مُحَّد بن أبي القاسم قد تلقوا عنه العلم ، لكن باستحضار الآثار العلمية التي تركها أبو القاسم بن يحي في ابنه مُحَّد و التي و ضحناها في الفصل الأول من هذا البحث ، تدفعنا إلى إثبات فرضية أن الأبناء درسوا عند أبيهم ولو في المراحل الأولى من أعمارهم و نذكر منهم :

أبو القاسم بن مُحَّد بن أبي القاسم (ولد قبل سنة 1129هـ/1716م) :

---

[1] إبراهيم أبي اليقظان: المرجع السابق ،ص ص 48-49.

[2] مؤسسة عمي سعيد ، فهرس خزانة دار التعليم بكير تعزابت ،الرقم في الخزانة: مع /دغ 137.

[3] بشير الحاج موسى: المرجع السابق ،ص13.

[4] شريط مسجل :بشير الحاج موسى.

[5] بشير الحاج موسى :المرجع السابق، ص 22 .

كانت وفاته بعد سنة 1134هـ وهذا استنادا الى ما خلفه من مستنسخاته الثمانية خلال سنة واحدة[1] فقط ولم ترد مستنسخات أخرى بعد ذلك وهو ما قد يشير إلى أن أبو القاسم الابن توفي بعد ذلك بقليل أي لم يعمر طويلا ، يعد أبو القاسم الابن سليل عائلة عريقة في العلم و الورع ،فبعد أن أخذ مبادئ العلم عن والده ثم حفظ القرآن بالمحضرة ، أصبح في سلك التلاميذ (ايروان) ، انتقل بعدها للدراسة بجربة التي كانت بها حركة علمية مزدهرة ،حيث تتلمذ على يد الشيخ سعيد بن يحي الجدوي ،حيث نبغ ثم تفوق في العلوم المختلفة كعلوم القرآن والفرائض و الفقه و علوم اللغة و المنطق فأصبح عالم زمانه و شيخًا يقصده الداني والقاصي كما عرف بأخلاقه العالية ، وقد خلف بعد وفاته مكتبة ثرية[2].

وفي قصيدة رثاء نظمها عبدالله بن سعيد الجدوي في وفاة الشيخ ابو القاسم بن مُحَمَّد –الابن– زميله في طلب العلم عند شيخهم سعيد الجدوي وهو والد الناظم ،جاء فيها:

سلام على جار بفخر وسـؤددا وعزاً منيعاً لن يبيد وينفـدا
أبي القاسم الخير الهمام المعظـم سليل المصنف الإمام محمـدا
فطوبى له من عالم متآثـل وشيخ جليل لن يزال مؤيـداً
بعون وتوفيق لنيل مكـارم وإرغام أنف كل غار وحاسداً
هو العالم النحرير فذ أوانـه سما وارتقى على البرية واهتـدا
فعلم المعاني و البيان و منـطـق وعلم البديع ثم نحو به ارتـدا
كذلك العروض و الحساب ولغة وعلم تفاسير القرآن المشيـدا
وعلم الكلام والقوافي المقيـدة وباقي العلوم ثان مثنى وموحدا
بليغ فصيح شاعر أي شاعـر حوى الفقه مع علم الفرائض واقتدا
بسيرة من قد كان ركنا وملجـأ لآل إباض في المغارب مرشـدا
له سمة كالشمس بانت منيـرة ووجه يضيء كالضياء إذا بـدا
ركيز تقي عاقل متواضـع سخي كحاتم الجواد او أزيـدا
شريف كريم طيب الفرع والنهـى شجاع كعنتر اذا اشتد بل عدا

[1] الياس بابانجار :المرجع السابق، ص 62.
[2] بشير الحاج موسى :المرجع السابق ،ص23.

حليم اديب سيد اي سيـــــــــد سألتك يارحمان ابقه مقصــدا
لدين ابن وهب في جبال المصاعب وذخراً حصيناً لن يزال مشيداً[1].

يحي بن مُحَّد بن أبي القاسم (ولد قبل :1129هـ/1716م) (ت :1207هـ/1792م)[2] :

هو يحي بن مُحَّد بن أبي القاسم المعروف (بالشيخ بابا) أو (بابه بن مُحَّد) [3]، من علماء واد مزاب ، سليل عائلة راسخة في العلم والدين ، وبحكم أن والده مُحَّد بن أبي القاسم بن يحي كان شيخاً و مدرساً ، فمن المؤكد أنه قد أخذ العلم عنه ، فبعد أن تمكن من مبادئ علوم اللغة و الفقه في المحضرة ثم حفظ القرآن ،ليسلك سيرة أقرانه بارتدائه لباس (ايروان)[4] ، برزت مواهبه و أظهر نبوغًا لافتا مما مكنه من الانتقال إلى معهد الشيخ أبي زكريا يحي بن صالح الأفضلي ببني يسجن وذلك سنة 1157هـ/1744م أو قبلها[5]،وهذا التاريخ يثبت أنه عاصر الشيخ عبدالعزيز الثميني اليسجني[6] وهذا ما قد يؤكد أنه درس معه .

التحق بحلقة عزابة مسجد قصر غرداية ، ثم ارتقى الى مرتبة المفتي وتصدر مجالس الوعظ و الإرشاد وتدريس الطبقة العليا من الطلبة ، ثم رشح لرئاسة مجلس عمي سعيد[7] ، عرف عنه العلم الغزير والخلق الكريم مما نال به مكانة فلقب" بالشيخ الفاضل "[8]، كما تصدى لمختلف المهام الاجتماعية كإصلاح ذات البين و التكفل بذوي الحاجات من الفقراء و اليتامى، وقد خلف

---

[1] سالم بن يعقوب : المرجع السابق ،ص ص 280-281.

[2] مجموعة مؤلفين :المرجع السابق، ص71 .

[3] بشير الحاج موسى ،المرجع السابق ،ص 23.

[4] وهي اللباس الحالي الرسمي لهيئة العزابة في مساجد مزاب.

[5] مجموعة مؤلفين : المرجع السابق ،ص 71.

[6] عبد العزيز بن ابراهيم بن عبد العزيز الثميني ولد سنة1130هـ ببني يسجن ، انتقل مع والده الى وارجلان ، تعلم بها وعمل في التجارة مع ابيه، ثم تركها ليلتحق بمدرسة ابي زكرياء يحي بن صالح الأفضلي ، فكان من ابرز تلاميذه ، ترأس مجلس العزابة ثم مجالس وادي مزاب عامة ، اصبحت كتبه معتمدة الإباضية وخاصة" كتاب النيل وشفاء العليل" و" معالم الدين"، للمزيد ينظر :مصطفى وينتن : آراء الشيخ مُحَّد بن يوسف اطفيش العقدية، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير، جمعية التراث القرارة الجزائر،1996م،ص22.

[7] للشيخ محاضر مخطوطة لجلسات العزابة ومجلس الشيخ عمي سعيد بخط يده ،للمزيد ينظر: مجموعة مؤلفين :المرجع السابق،ص71.

[8] ابراهيم ابو اليقظان :المرجع السابق ،ص 131.

الشيخ يحيى بن مُحَّد آثاراً العلمية منها : منسوخات بلغ عددها 15 منسوخة مابين فترة 1157هـ/1195هـ[1] ،وله منظومة هائية في "أرش الجراحات" ، وقصيدة لامية في مدح الشيخ عمرو بن رمضان الجربي التلاتي في أربعين بيتا، نظمهما بطلب من أستاذه أبي زكرياء الأفضلي[2] ، بعد وفاته رثاه الشيخ إبراهيم بن بيحمان بقصيدة طويلة [3].

مما سبق عرضه في هذا المبحث نخلص إلى أن بيت الشيخ أبو القاسم بن يحيى كان بيت علم ، وقد سطع نجم أربعة منهم في سلسلة مترابطة أبًا عن جد فلم تنقطع في زمن أحدهم بداية من أب المترجم له أبو القاسم ثم الابن مُحَّد بن أبي القاسم وهو المترجم له ثم أبناؤه أبو القاسم و يحيى . واستمر عطاء العائلة في العلم إلى أن برز شيخ من المتأخرين من أسرة الشيخ مُحَّد بن أبي القاسم ،وهو الشيخ بابا بن يونس (ت:أواسط ذي الحجه 1280هـ/1863)[4]، الذي كان من علماء وادي مزاب وأعمدة الإصلاح في زمانه، أدركه الشيخ مُحَّد أطفيش القطب في أواخر عمره ،حيث كان مواظبا على حضور حلقاته العلمية [5] ، وكان الشيخ أطفيش يشارك بمسائل وتوضيحات في مجالسه العلمية ، فاكتشف الشيخ بابا ويونس أنه نابغة فكان يُنقل عنه أنه قال للشيخ أطفيش لما توسم فيه النبوغ:"أتيتني يا مُحَّد [الشيخ أطفيش] في أواخر عمري [6] " ، ويقصد بقوله أن لو جمعتنا الأقدار وأنا في عز عطائي لأغدقت عليك مما علمني الله وكان ممن أوتي الحكمة ،وله مواقف مشهورة ضد دخول فرنسا وادي مزاب ،له مراسلات مخطوطة خاصة مع أهل عمان ،وترك مكتبة ثرية عامرة بالمخطوطات لازالت محفوظة الى يومنا ضمن مكتبة الشيخ الحاج بابكر بن مسعود الغرداوي[7] .

إن تأثير الشيخ مُحَّد بن ابي القاسم المباشر في من كان يجلس إليه من طلبة العلم للاغتراف من معينه ،كان قوياً و فعالاً من خلال تلك العلاقة العلمية والروحية التي تشكلت بمرور الزمن ،

[1] إلياس بابانجار: المرجع السابق ،ص 63.
[2] مجموعة مؤلفين: المرجع السابق،ص71.
[3] نفسه،ص71.
[4] نفسه ،ص72
[5] نفسه ،ص72
[6] بشير الحاج موسى :المرجع السابق ،ص 35.
[7] مجموعة مؤلفين :المرجع السابق،ص72.

فأضحى طلبته يعودن إليه في المسائل والنوازل الطارئة ، كما أصبحوا يسلكون نهجه و يتمثلون أخلاقه و صفاته و هو ما تشير إليه مرثيات بعضهم عند وفاته .

فلا شك أن المكانة العلمية للشيخ مُحَّد بن ابي القاسم لم تنحصر في ما ترك من آثار في تلاميذه وفي عامة الناس من خلال ما كان يلقيه عليهم من دروس و مواعظ ، بل تجاوز ذلك إلى ما ترك من آثار ومؤلفات فكرية في مختلف الفنون و المعارف و هو ما سنبينه في المبحث الثاني والثالث من هذا الفصل .

المبحث الثاني : آثاره العلمية في الشريعة وعلومها.

بالإضافة إلى ما ترك الشيخ مُحَّد بن أبي القاسم من تلاميذ برزوا بعده فتصدى بعضهم للفتوى و بعضهم للتعليم و العمل الاجتماعي ضمن حلقة العزابة و غيرها ، فقد ترك لنا الشيخ إرثاً مهماً في مختلف العلوم الشرعية والعقلية من مراسلات و أجوبة و ردود وغيرها ، سعينا من خلال هذا العمل إلى التعريف بآثار الشيخ مُحَّد بن أبي القاسم الذي هو إحدى الشخصيات البارزة التي عاشت الفترة الحديثة بمنطقة وادي مزاب حيث شهدت جهودا أثمرت في قيام نهضة اجتماعية علمية و فكرية تجلت خاصة في نشاط حركة النسخ [1]، غير أنه لا يمكن في هذا المبحث الإحاطة بالتفصيل في مضمون الإنتاج الفكري للشيخ مُحَّد بن أبي القاسم المتناثر في مختلف الخزائن الموجودة داخل وادي مزاب وخارجه خاصة بوارجلان ، و السبب في ذلك أمران أساسيان:

– إن ما تركه الشيخ مُحَّد بن أبي القاسم من إنتاج فكري لم يخرج عن كونه مخطوطا لم تسلط عليه أضواء الدارسين والمحققين لإخراجه في شكله الذي يستفيد منه الباحثين و غيرهم ، ويستثنى منها دراسة واحدة مطبوعة عنوانها " الرد على المازوني" ، و أخرى عبارة عن تجميع لبعض آيات القرآن اجتهد في تنظيمها الشيخ مُحَّد بن أبي القاسم وسميت "نواوير القرآن" أو" المنجيات"[2] .

---

[1] الياس بابانجار: المرجع السابق ،ص 70.

[2] هي عبارة عن آيات قرآنية مختارة إلتماسا لبركتها و ما فيها من وعظ وتذكير ، أو اثبات توحيد أو بشارة لأهل الجنة تفاؤلاً بها ، تقرأ في مناسبات متعددة في كامل قرى مزاب ،منها عند اجتماع الناس في المسجد في موسم الزيارة ،و ليلة المولد بين المغرب والعشاء ، وعند تتويج العريس في غرداية وبنورة ومنها صبيحة يوم العيد قرب طلوع الشمس كما تقرأ صبيحة يوم الجمعة بعد دعاء السلام المروي عن الشيخ عمي سعيد الجربي ، في غرداية تقرأ كل يوم بعد صلاة العصر و يعين من يقرأها باستمرار وذلك عملا بوصية جامعها الشيخ حمو والحاج حيث قال في وصيته: " ما دمتم تقرؤونها يحفظكم الله من البلاء و

– بحثنا ذو طابع تاريخي تحليلي وصفي تناولنا فيه سيرة الشيخ مُحَّد بن أبي القاسم دون الخوض كثيرا في مضمون آثاره العلمية فذلك من اختصاص محققي المخطوطات .

بل نكتفي بعد الاطلاع على بعض آثار الشيخ من خلال ما جمعته فهارس الخزائن التي توصلنا إلى جلها حيث يتوزع عليها هذا الإنتاج في شكل مخطوطات ، قمنا بعملية إحصائية مقسمين ذلك إلى ثلاثة أقسام : في مقدمتها كل ما قام بتأليفه و بعصارة فكره و اجتهاده أو باشتراكه مع غيره ، سواء كان شرحاً أو جواباً أو سؤالاً أو قصيدة رثاء أو مدح أو نحوها، ثم دون ذلك ما قام بنسخه من مؤلفات غيره فهو يحسب له جهد النسخ و نستفيد منها من خلال ما تقدمها لنا من صور عن ميوله و اهتماماته و متابعاته للمؤلفات والمؤلفين. كما اعتمدنا كذلك في دراستنا الإحصائية على ما نُسخ عنه وهذا العمل لايعتبر إنتاجاً مباشراً له ورغم ذلك فإن الإحصاء في هذا الجانب يقدم لنا قراءة مفيدة لما يستهوي و يميل الى نسخه النُّساخ ،ويعتبر ذلك تأثيراً مباشرا للإنتاج الفكري للشيخ مُحَّد بن ابي القاسم في غيره . سنكتفي في هذا المبحث بعرض عام لمجمل ما أنتجه الشيخ من فنون المعارف من حيث شكل المخطوط ثم نتعرض إلى مضمون ما ورد في بعض النماذج.

أحصينا 24 وثيقة مما أنتجه الشيخ مُحَّد بن أبي القاسم من آثار علمية من نصوص نثرية و منظومات شعرية في :

– الشريعة وعلومها من عقيدة و فقه و حديث و تضرع وزهد ونصح.

– اللغة وعلومها و مختلف الفنون من سير وتراجم و علم الفلك و الحكم و غيرها .

أما عدد منسوخات الشيخ مُحَّد بن أبي القاسم من غير مؤلفاته بلغت 39 منسوخة في مختلف العلوم .

أما ما نَسَخَ عنه النُساخ قدر بـ 66 باحتساب تكرار بعض المنسوخات .

جدول (1) مؤلفات الشيخ مُحَّد بن أبي القاسم في الشريعة وعلومها:

ينصركم على من عاداكم " ويوجد كتيب لها بعنوان " نواوير القرآن " أو " المنجيات" ،للمزيد ينظر: بلحاج قشار: عوائد ميزاب سنن لا تقاليد ،1994م،ص ص 37-38 ، مما يمكن أن يشار إليه في هذا الصدد أن من غايات هذه الطريقة في جمع بعض الآيات هو تحفيز جميع الناس على تلاوة ما يحفظ من اجزاء و آيات من القرآن الكريم ، خاصة الصغار و الملاحظ انه في ظرف زمني قليل يمكن تلاوة من كل جزء آيات و يبدوا ان ذلك كان من غايات وضع هذه الطريقة .

عنوان المخطوط	المجال	تاريخ التأليف	نوع الخط ولون الحبر	حالة المخطوط
تفسير حديث المستبأّن ماقالا	حديث	قبل 1129 هـ	مغ.و – بني داكن	كاملة
جواب عن أسئلة وجدت ملقاة في محراب	عقيدة	قبل 1129 هـ	مغ.و - اسود و أحمر	كاملة
جواب في تنجيس بول البهائم	فقه	قبل 1129 هـ	مغ.و – اسود و أحمر	مبتورة الوسط
شرح بعض الدعائم – لأبو النظر العماني	فقه	قبل 1129 هـ	مغ.و – بني داكن واحمر	كاملة
تقييد الوصية	فقه	قبل 1129هـ	نسخة صالح بن أحمد بن ابراهيم	فقدنا الأصل
نظم في حكم غيوب الحشفة	فقه	قبل 1129 هـ	نسخة الإبن يحي بن مُحَّد	فقدنا الأصل
رد على قادح في المذهب الإباضي من مدينة مازونة	عقيدة	قبل 1129 هـ	نسخة الإبن أبو القاسم بن مُحَّد	فقدنا الأصل
قصيدة في النصح والاستغفار	نصح وابتهال	قبل 1129 هـ	مغ.و – بني داكن	مبتورة الآخر
بدأت باسم العلي ذي الكرم	نصح وابتهال	قبل 1129 هـ	مغ.و –بني داكن –بنفسجي	مبتورة الوسط
أجوبة فقهية	فقه	قبل 1129هـ	نسخه مجهول مصعبي	فقدنا الأصل

في الجدول (1) جمعنا فيه 10 مؤلفات للشيخ مُحَّد بن أبي القاسم التي توصلنا إليها في المجال الشرعي منها ما هو من نسخه بخط يده ومنها ما ضاع أصلها و اعتمدنا على أقرب النساخ الى فترة حياته أو ما وجدناه واضحا وهو حال " تقييد الوصية ". وقد وجدنا نسخة من "أجوبة فقهية "لناسخ مجهول في خزانة البكري تحت رقم د.غ11 ، ورقمها في الفهرس 97، نلاحظ أنها تنوعت بين العقيدة و الفقه والحديث ، وهو ما يشير إلى اهتمامه الكبير و تمكنه في هذه الفنون الشرعية خاصة الجانب الفقهي ،حيث أحصيت خمسة مؤلفات وهي أجوبة فقهية و فتاوى لمختلف النوازل ، كما أنه لم يقتصر في ما ألف على الجانب النثري ، بل كانت له منظومات شعرية في النصح والزهد و الابتهال وقد يستهل جواباً ما أو مسألة ما بأبيات شعرية أو يذيل رسالة نثرية الطابع بأبيات شعرية مناسبة للموضوع ، وهو ما كان شائعاً في تلك الفترة في كثير من العلماء و الفقهاء . كما نشير إلى أن عناوين مؤلفات الشيخ الواردة في الجدول هي من وضع النُّساخ أو المفهرسين للخزائن ، فهي تشير إلى موضوع المخطوطة أو ما بدأت به المخطوطة كما في قوله:

بدأت باسم العلي ذي الكرم و أحمد ربي المقيم ذي النعم.

فجاء في عنوان المؤلف "بدأت باسم العلي ذي الكرم " وهو صدر البيت الذي بدأ به قصيدته التي استهلها بالبيت السابق .

و ما استنتجناه في قراءتنا لهذا الجدول ، أن تاريخ التأليف غير مضبوط في كافة العناوين، فقدره المفهرسون بتاريخ وفاته 1129هـ كحد أقصى ،أما عن الخط المعتمد في الكتابة فكان خطاً مغربياً واضحاً مقروءاً و هو ما كان شائعاً في البلدان المغاربية في تلك الفترة ، وأغلب الخط كان يميل إلى البني الداكن والأحمر أو الأسود من جهة أخرى نلاحظ بعض المخطوطات لم نصل إلى الأصلية منها وهي ثلاثة ،كما أن ما ذكر في الجدول من أصول مبتورة وجدناها منسوخة كاملة .

جدول (2) ما نسخ الشيخ مُحَمَّد بن أبي القاسم عن غيره:

العنوان	صاحب التأليف	التاريخ	المجال
حاشية البيوع من كتاب الإيضاح	مُحَمَّد بن عمر أبو ستة "أبو عبدالله "	قبل 1129هـ	فقه المعاملات
لقط ابي عزيز	أبو عزيز بن إبراهيم	قبل 1129هـ	فقه العبادات والمعاملات
مسائل الأموات	أحمد بن مُحَمَّد بن بكر "أبو العباس"	قبل 1129هـ	فقه العبادات
أبو مسألة	أحمد بن مُحَمَّد بن بكر "أبو العباس"	قبل 1129هـ	فقه العبادات والمعاملات
حاشية الوضع	مُحَمَّد بن عمر أبو ستة "أبو عبدالله "	أواخر جمادى الأولى 1065هـ	فقه العبادات والمعاملات
الصحف الأربعون (نسخه مرتين)	مجهول	قبل 1129هـ	الوعظ والزهد والرقائق
سلام على الإخوان في كل موطن	فتح بن نوح أبو نصر النفوسي	قبل 1129هـ	العقيدة وأصول الدين
تبيان أفعال العباد	أحمد بن مُحَمَّد بن بكر "أبو العباس"	قبل 1129هـ	فقه العبادات والمعاملات
"كتاب اللمع" المعروف بكتاب الوضع(نسخه مرتين)	يحي بن الخير الجناوني ،أبو زكرياء	نسخ الأقدم عشية الجمعة 4 ربيع الأخير 1100هـ والاخرى [1116هـ]	فقه العبادات والمعاملات
الحمد لله الذي هدان [كذا]	أبو القاسم بن يحي المصعبي	قبل 1102هـ	العقيدة وأصول الدين
الإيضاح كتاب البيوع	عامر بن علي الشماخي	قبل 1126هـ	فقه المعاملات
الإيضاح كتاب الجنائز	عامر بن علي الشماخي	1116هـ	فقه العبادات
سلام على الإخوان في كل موطن	فتح بن نوح الملوشائي ،أبو نصر	1116هـ	العقيدة وأصول الدين
الحمد لله العلي الباقي	زكرياء بن أفلح الصدغياني	1116هـ	فقه العبادات
مناي من الدنيا منادمة الكتب	فتح بن نوح الملوشائي	1116هـ	الوعظ و الزهد والرقائق
دعوتك يا مولاي فاقبل دعائي	مجهول	1116هـ	التضرع والابتهال
حاشية الترتيب	مُحَمَّد بن عمر بن أبي سته	قبل 1129هـ	الحديث و علومه
الدليل لأهل العقول لباغي السبيل بنور الدليل	يوسف بن إبراهيم الورجلاني	ضحى السبت 27 محرم 1114هـ	العقيد و أصول الدين
قصيدة كشف الغمة	أحمد بن سليمان بن عبدالله بن النظر العماني	أواخر ق 11هـ	العقيدة وأصول الدين
الأحاديث الأربعون الودعانية – في	مُحَمَّد بن علي أبو نصر	قبل 1129هـ	الحديث وعلومه

نسختين –			
ديوان الدعائم	أحمد بن سليمان بن عبد الله العماني	حوالي القرن 11هـ	الفقه و أصول الدين
ديوان الملوشائي	فتح بن نوح الملوشائي	حوالي القرن 11هـ	الرقائق والزهد

بالعودة إلى الجدول (2) الذي جمعنا فيه ما نسخه الشيخ مُحَّد بن أبي القاسم في الشريعة وعلومها من غيره فأحصينا عددها 20 منسوخة ،بدون احتساب ما تكرر من العناوين مع الإشارة إليها في الجدول ، معتمدين في حصر هذه المنسوخات على العنوان و المؤلف ثم تاريخ التأليف و المجال الذي تنتمي إليه ،والملاحظة العامة في تواريخ النسخ ليست مضبوطة ودقيقة إلاّ في ثلاثة منها والباقي هي تقديرات المفهرسين وجامعي المخطوطات .

وجدنا أن 10 من المنسوخات كانت في مجال الفقه و علومه وحده و هي نصف عدد المنسوخات المتوفرة، وهذا يدل على اهتمام الشيخ في نسخه كما في تأليفه بالجانب الفقهي وتبحره في علومها من أصول وفقه معاملات وعبادات، وحينما نذكر أنه نسخ عن الشيخ عامر بن علي الشماخي[1]، فهذا دليل على اهتمامه بفقه المذهب الإباضي الذي يعد هذا الأخير من المصادر المعتمدة في المذهب .

كما اهتم الشيخ بالعقيدة و أصول الدين في النسخ كما التأليف فأحصينا في هذا المجال 5 منسوخات له ، كلها من تآليف علماء اباضية من مزاب و وارجلان و نفوسة و عمان ومنها منسوخة والده الشيخ أبي القاسم بن يحي .

كما أحصينا في الجدول ثلاثة منسوخات في مجال الوعظ و الزهد و الرقائق و الحكم ، وهي مما يستأنس به العالم و يستشهد بما فيها من حكم واللطائف .

أما في الحديث وعلومه فقد أحصينا اثنتان من المنسوخات وهما "حاشية الترتيب "لمحمد بن عامر بن ابي ستة و الأخرى" الأحاديث الأربعون الودعانية " لمحمد بن علي أبو نصر .

الجدول (3) ما نَسَخَ النُّساخُ عن الشيخ مُحَّد بن ابي القاسم:

عنوان المنسوخة	المجال	عدد المنسوخات
بدأت باسم العلي ذي الكرم	النصح وابتهال	28

[1] من علماء القرن الثامن هـ توفي سنة 792هـ/1390م ، اشتغل بالتدريس له مؤلفات منها الإيضاح.

الرد عل المازوني	العقيدة وأصول الدين	11
لفظ الوصية	فقه العبادات والمعاملات	04
جواب فقهي عن سؤال تنجيس بول البهائم وشرح اسئلة فقهية	فتاوي فقهية	03
رد على كتاب ملقى في محراب مسجد غرداية – من حاكم ورجلان –	العقيدة وأصول الدين	02
شرح بعض الدعائم	فقه العبادات والمعاملات	02
أجوبة فقهية	فقه العبادات والمعاملات	01
جامع المنجيات	الأدعية والأذكار	01

مما لاشك فيه أنه ما نَسخ نَاسخٌ شيئا إلاّ لأهمية ما تحويه أو ما تقدمه تلك المنسوخة من فوائد لصاحبها ، وهذا ما دفعنا للبحث في فهارس الخزائن المتوفرة عن ما نسخه النساخ من آثار الشيخ مُحَّد بن ابي القاسم في المجال الشرعي فأحصينا عددها 53 منسوخة في الفترة الحديثة ، وهذا العدد يشير إلى مدى اهتمام طلبة الشيخ و علماء زمانه و من جاء بعده بهذا الإنتاج .

وتأتي في مقدمة المنسوخات قصيدته الميمية التي جاءت في 66 بيتاً في النصح و الاستغفار التي نسخت 28 مرة جاء في مستهلها:

بدأت باسم العلي ذي الكرام وأحمد رب المفيض النعم .

ثم تأتي تلك الرسالة التي أرسلها إلى أحد الطاعنين في المذهب فرد عليها الشيخ بكتاب معنونة بـ "الرد على مازوني " وتوجد مطبوعة ،وقد تكرر نسخها 11 مرة ، وهي أصلا في العقيدة والأصول لكنه ختمها بتصحيحات لغوية وقع فيها المازوني .

ومما تكرر 4 مرات في فقه الوصية "لفظ الوصية " التي حدد فيها ما يجب ذكره و ما يجب على الموصي ضبطه في الوصية وفق ما تنص عليه الشريعة الإسلامية من واجبات وفرائض وتبعات وغيرها .

أما الجواب الفقهي الذي أتاه كما ذكر الشيخ مُحَّد بن أبي القاسم في مخطوط منسوخ له ،من سائل من المخالفين له في المذهب وهو في سوق غرداية [1]يسأله عن دليل تنجيس بول الأنعام ثم بعد الإجابة طرح أسئلة فقهية فيها أوجه في الحكم أراد الشيخ أن يمتحن السائل في الجواب عنها ، وقد طلب منه أحدهم يبدوا أنه أحد تلامذة الشيخ أن يجيب على تلك الأسئلة الفقهية الدقيقة و

بعضها في العقيدة و لطائف في الحكم والغامضة في تركيبتها، فجاء جوابه في المنسوخة المعتمدة في الجدول ، لقد تكرر نسخ هذا الجواب الفقهي 3مرات .

في العقيدة نجد منسوختين للشيخ وهي رده عن رسالة وجدت ملقاة في محراب المسجد و يذكر الشيخ مُحَّد بن أبي القاسم في بداية رده أنها من حاكم وارجلان ، فيه قدح للإباضية و عقيدتهم وقد وجدنا هذا الجواب ، ضمن منسوخة احتوت في أولها جواب عن سؤال فقهي و في الأخير جواب عن رسالة المحراب .

وأما عن مؤلفه الفقهي الذي هو شرح لبعض كتاب الدعائم للشيخ أحمد بن سليمان بن عبد الله بن النظر العماني وهي منظومة في العقيدة والفقه وقد شرحها أكثر من عالم[1] ،فقد شَرح منها 114 بيتا في فقه الصلوات المفروضة و صلاة العيدين ،صلاة الجنازة ، صلاة الجمعة ثم شرح 18 بيتاً في فقه الصيام ،وقد جاءت النسخة المخطوطة المطلع عليها في 48 صفحة .

وقد لاحظنا في مخطوطة "شرح بعض الدعائم" التي هي في الأصل مؤلف فقهي واضح لكن يستفاد منها في علوم اللغة من نحو وصرف وتفعيلات وغيرها ففي كل بيت يبدأه بالشرح اللغوي المفصل ثم يستنبط منها الأحكام الفقهية وغيرها .

وقد وردت منسوخة واحدة عن الشيخ مُحَّد بن أبي القاسم وهي مجموعة أجوبة فقهية ، جمعها الشيخ نفسه ونسخها "مجهول مصعبي " ، وهي أجوبة عن أسئلة الحاج نوح بن أيوب و أخرى عن أسئلة الشيخ عبد العزيز بن عيسى[2]. لكن أصلها مفقود وتوجد النسخة حسب الفهارس في خزانة البكري تحت رقم دغ 11، وأول عبارة في الصفحة الأولى جاء فيها " فينادي المنادي من قبل الرحمان"، وآخر عبارة مقروءة في الصفحة الثامنة جاءت "وآثام الدنيا" ومن المسائل الواردة في الصفحة الأولى تناولت :

[1] هي من الأسس التي يعتمد عليها في دراسة الفقه الإباضي ويأخذ منها الفتوى ،وهذا العمل اشترك فيه العديد من العلماء أولهم أبو القاسم البرادي ثم يوسف بن حمو اليسجني ،الشيخ مُحَّد بن ابي القاسم المصعبي ، أبو زكرياء الأفضلي ،الشيخ اطفيش ،أي أن المؤلف كتاب الدعائم اجتمع على شرحه 05 علماء ليسوا من عصر واحد فكان كل أحد منهم يأتي ويبني انطلاقا من الآخر وهذا من فرائض التراث المزابي في هذا المجال ، للمزيد ينظر: بشير الحاج موسى : شريط مسجل.

[2] بشير الحاج موسى :المرجع السابق ،ص16.

- مصير من مات ولم يتب من معصية شرب الخمر .
- جزاء من عمل الصالحات وحافظ على الفرائض من صلاة وغيرها و مات على التوبة.

في الصفحة الثانية تناول:

- مسائل النكاح والطلاق و ما يترتب عليها في حال الحمل .
- الفرق بين الصدقة والهبة بين الأزواج .

وفي الصفحة الثالثة :

- في طلاق الزوجة عند ثبوت إثمها.
- في الكفارات هل تعطى لمساكين غير المسلمين ؟
- في إطعام مساكين أهل الإسلام من غير أهل المذهب .
- عن المال الموقوف للمساجد و أوجه صرفه.

وفي الصفحة الرابعة :

- تناول قيمة الوصية للأقرب و بماذا يوصي .
- حكم رجل جمع بين امرأة وعمتها او خالتها.

في الصفحة الخامسة :

- في حكم من وطئ زوجته وهي حائض ثم يختمها بعرضه عدة أقوال في المسألة .
- ثم تطرق لنكاح أهل الكتاب وجوازه من حرمته.

في الصفحة السادسة :

- عن سيد مات عبده هل يجوز أن ينكح زوجته.
- عن حكم مراجعة الطالق بنكاح جديد بكامل شروطها.
- عمن كانت بيده أموال غيره ولم يدري كم هي عليه ليردها لأصحابها .
- عن أداء الحج والعمرة .

الصفحة السابعة :

- عن آكل رمضان متعمداً و التي طهرت في رمضان بعد حيض ثم تمادت في أكل رمضان؟

- عن نكاح من كان سفيها هل حكمه في ذلك حكم التصرف في حر ماله ؟

ثم ختم هذه المسائل بقوله :

"انظر يا أخي بهذه الأجوبة بعين البصيرة وتحر الصواب وخذ ما وافق الحق فإن بصيرنا كليلة وعلومنا قليلة و استغفر الله مما ضغا[1] به القلم و زلت به القدم والسلام عايد [كذا] عليك و على جميع من تحلق وعلى كافة الإخوان" .

وفي الصفحة الثامنة الأخيرة في المخطوطة المتوفرة لدينا تطرق فيها الشيخ إلى حقيقة الديانة و ما تحمله من قطع عذر لكل من خالف من يدين بدينه و حقيقة المذاهب التي ليس فيها قطع عذر لمن خالفهم ونص الشيخ مُحَمَّد بن أبي القاسم هو :"حقيقة الديانة اسم لما بانت به كل فرقة عن غيرها فيما اعتقدوا دينا يدان الله به في جميع ما قطعوا فيه عذر من خلفهم و المصيب فيها واحد غير معين(...)حقيقة المذهب اسم لما بانت به كل فرقة في الفروع ومسايل[كذا] الاستنباط وليس فيها قطع عذر ولا تفسيق ولا تكفير " لمن خالفهم ،وهي إشارة قوية واضحة لمعتقد الإباضية في المخالفين لهم في المذهب ،فالتمذهب عندهم لا يدفعهم لإنكار الآخر ولا تفسيقه ، وهذه شريعة العلماء الربانيين الموقنين بما حملوا من أمانة العلم التي سيسألون عنها .

فحينما نستعرض ما تردد من عبارة: "أما سؤالك" في أجوبته لأسئلة من يطلب الفتوى، فإنها تعبر بوضوح عن تلك العلاقة بين السائل والمجيب التي تحددها تلك الأسئلة المخطوطة في القراطيس ، أما إن كانت شفاهية فلا نرى أنه كان يجمعها ويدونها إلاّ ما اقتضته الضرورة والتزم بتقييدها مع ما وردت إليه من أسئلة مكتوبة ليستفيد منها السائل، أما في العقيدة وأصول الدين فيظهر مدى تضلعه في هذا المجال من خلال ردوده للمخالفين و تبيينه لهم حقيقة الدين و أصول مذهبه الإباضي .

المبحث الثالث : آثاره العلمية في اللغة ومختلف الفنون

[1] ضغا : بمعنى تذلل وخضع له القلم .

وجدنا في فهارس المخطوطات مما ألفه الشيخ مُحَمَّد بن أبي القاسم آثاراً في اللغة وأخرى في فنون مختلفة من السير والتراجم والتاريخ و رسائل و ردود وفي علم الفلك والمواقيت ما صنفنها في الجدول التالي:

جدول رقم(4)مؤلفات الشيخ في اللغة و فنون أخرى (الحكم، السير و التراجم ،الرثاء):

عنوان المخطوط	المجال	تاريخ التأليف	نوع الخط ولون الحبر	حالة المخطوط
قصيدة في رثاء ابي القاسم بن يحي " حمدي لذي العزة و الكبر"	الرثاء 50 بيتا	قبل 1129هـ	مغ.و-بني برتقالي	كاملة
قصيدة في صفات ابن آدم وأطوار خلقه	مواضيع مختلفة	قبل 1129هـ	مغ.و -بني برتقالي	مبتور الآخر
رسالة في مدح سلطان مصطفى بالجزائر	المدح و جواب عن أسئلة اهل الجزائر	قبل 1129هـ	مغ.و -بني داكن	مبتورة الآخر
أقول ودمعي سائل ومسكوب	رثاء الشيخ عبد الله بن عيسى	قبل 1129هـ	مغ.و —بني داكن	كاملة
بحمد الهي ابتدي الشعر أولا	ذكر نسب الدين	قبل 1129هـ	مغ.و —بني	كاملة
أيها الباحث عن هذا العجب	جواب سؤال عن القلم والحبر	قبل 1129هـ	مغ.و —بني داكن	كاملة
أبواب وفصول في الفلك و الميقات	الفلك وعلم الميقات	قبل 1129هـ	مغ.و — بني داكن أحمر	كاملة
رد على رسالة مجهولة ملقاة في محراب	توضيحات وأسئلة متنوعة	1116هـ	مغ.و - بني داكن أحمر	كاملة
قصيدة في رد التحية لأهل عمان وسلطانهم	التاريخ والسيرة النبوية ، التراجم	قبل 1129هـ	د نا -مغربي رديء—بني	كاملة لم نتوصل الى الاصل
شرح الأسئلة الواردة في جواب دليل تنجيس بول البهائم	مختلف الفنون	قبل 1129هـ	مغ.و - اسود و احمر	مبتورة الآخر
فك لغز في النحو	اللغة العربية	قبل 1129هـ	لعله ابنه يحي مغربي غير مقروء —بني	كامل
قصيدة في نجدة بنو مزاب لأهل وارجلان	تاريخ وسير	حوالي 1126هـ	مخ : ملحق سير الشماخي ابو اليقظان ص ص 57-58	فقدنا الأصل
رسالة إلى شيخ حلقة أهل جربة " أبي زيد بن أبي ستة الجربي" حررها باسم مجلس عزابة وطلبة وعوام وادي مزاب	رسالة تحية و شوق للشيخ ابي زيد .	قبل 1129 هـ	مطبوع في كتاب :تاريخ جزيرة جربة و مدارسها العلمية : ص381- 382	فقدنا الأصل

رثا الشيخ مُحَمَّد بن أبي القاسم للشيخ أبي زيد بن أبي ستة الجربي	السير والتراجم		مطبوع في كتاب :تاريخ جزيرة جربة و مدارسها العلمية : ص379	فقدنا الأصل

بعد استعراضنا لمجمل ما ألف و ما نَسخ وما نُسخ عن الشيخ مُحَمَّد بن أبي القاسم في المجال الشرعي ، فإننا سنتطرق إلى باقي ما ألفه في اللغة العربية و فنون مختلفة ، وقد أحصينا في الجدول رقم (4) 14 مؤلفا بين مخطوطة و مطبوعة أما المخطوط فأغلبه بخط مغربي واضح وبألوان خطوط يغلب عليها البني والأحمر وبعضها برتقالي و أما ما ضاع أصله فأغلبه بخط رديء ، و10 منها كاملة ، و4 منها مبتورة الأول أو الأخير .

ففي اللغة العربية فلم نجد سوى ما سمي " فك لغز في النحو"[1] وهو في صفحة واحدة ليست بخط الشيخ مُحَمَّد بن أبي القاسم بينما نسبها المفهرسين الى ابنه يحيى بن مُحَمَّد ، وهي غير واضحة بخط مغربي بني اللون .

رغم ذلك فإن الشيخ مُحَمَّد بن ابي القاسم اهتم كثيراً باللغة وعلومها في مؤلفاته عموماً ، وقد وضحنا ذلك فيما سبق عند تناولنا لشرح بعض الدعائم ، وقد يعود عدم تخصيص الشيخ لمؤلفات في اللغة وعلومها إلى أنه اتخذ اللغة وسيلة لإيصال الفهم للسائل و للقارئ والمستمع ، ومن الأدلة التي يمكن الاستناد إليها كذلك في هذا الباب أن والده أبو القاسم قد شرح منظومة إبن أجروم المعروفة "بالآجرومية " في اللغة العربية ، وقد بينا أنه أخذ العلم عن أبيه و هذا من غير شك دليل على ارتوائه من معين أبيه أبي القاسم .

ومما ورد عنه في إحدى ردوده لأحدهم في مسائل العقيدة ، إذ ذيل ذلك الرد بتصويبات لغوية دقيقة وردت في كتاب السائل وسنورد بعضاً منها على سبيل المثال " وملاكوته بلام ألف وهو خطأ والصواب ملكوته، وهو مصدر ملك ومثله الجبروت والرحموت و الرهبوت"[2]، وكذا قوله "قلت – وفتحت به أعين صما – فهل رفعت المفعول به أو خفضته إذ نصبته لكتبته أعينا (...)

[1] انظر الملحق رقم 07.

[2] الناصر اويابه: الرد على المازوني للشيخ حمو والحاج، منشورات مكتبة المسجد العتيق بقصر غرداية ، ط1، 2016م ،ص 27.

فلم نصبت نعته وعطفت عليه بالنصب ما بعده "[1]، ومن أمثلة سعي الشيخ مُحَمَّد بن أبي القاسم إلى الضبط اللغوي في ما يقرأ أو يكتب أو فيما يشرح ، ما جاء في مخطوطة عن شرح بعض الدعائم في صلاة العيدين نقتبس هذا البيت الذي شرحه لغويا ثم استنبط منها المسائل الفقهية فنكتفي بما أورده فيها من الإعراب والنحو :

بغير إقامـــة وبلا أذان يصليها ذوو الإسلام قصرا.

"بغير إقامة يتعلق بمحذوف لأنه حال من الضمير المنصوب في يصليها ، و بلا أذان معطوف عليه ولا زائدة للتوكيد و يجوز إعمالها أيضا إذا دخل عليها حرف الجر كقولهم جئت بلا زاد و قضيت من لا شيء ، وقصرا نصب على الحال من الضمير أيضاً وهو مصدر ويقدر ذات قصر عند البصريين و مقصورة عند الكوفيين ،والضمير في يصليها عائد الصلاة المفهومة من يصلي كقوله تعالى : ﴿اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾ [2]أي العدل أقرب (...)"

حينما نتطرق إلى منظوماته الشعرية فقد تعددت و تنوعت مواضيعها ،منها في الرثاء و المدح و غيرها من فنون الآداب ولطائف الأشعار .

أ- في الرثاء : احصينا 3 قصائد انظر الجدول (4) نذكر منها:

- مرثيته في وفاة والده أبو القاسم بن يحي بن أبي القاسم وهي رائية في 50 بيتاً [3]مما جاء فيها :

حمدي لذي العزة والكبر حمداً يدوم مدة الدهـــــر
سبحان مِن حاكم عادل فحكمه عادل بلا جـــور
ثم الصلاة والسلام علـى من كان معصوماً من الشعر

إلى أن يقول :

وبعد فالمقصود بالشعـــر تعزية النفس على الضـــــر
ومدح ذي العلم الغزير ذي التقوى لرب العرش في العســر
فسره كجهره قد صفـــى بل سره أصفى من الجهـــــر
يكابد الليل الطويل علـى الصلاة والعلوم والبـــــر .

[1] نفسه ،ص26.

[2] القرآن الكريم :سورة المائدة ،الآية 8.

[3] انظر الملحق رقم 10-11 .

في القصيدة فوائد جمة في اللغة وفي الحكم في صفاة وسيرة والده فلا شك انه قد تأثر بها في حياة والده و صاغها بوضوح في هذه المرثية .

- مرثيته في وفاة الشيخ أبي زيد بن ابي ستة و هو احد مشايخ جربة وهي رائية جاءت في 24 بيتاً منها:

أتى النعي من نحو الجزيرة مخبـــرا بأن ضياء الدين أضحى معفـــــراً

ونور ذوي الإسلام أصبح كاسفا وروض العلوم يابساً حين أقبـــــرا

فيالك من خطب فظيع كأنـــه على القلب و الأحشاء جمر مسعرا

إلى أن يقول :

ومن لتلاميذ أرادوا تعلمـــــــا ومن للمسائل الصعاب مقـــــرراً

ب – في المدح :أحصينا قصيدتين إحداهما ميمية في 60 بيتاً في رد التحية لأهل عمان و مدح سلطانهم ابن يوسف، والأخرى رسالة مدح لسلطان الجزائر مصطفى في رسالة فيها نثراً وشعراً ومما قال فيه نثراً: "(...) السلطان المصطفى ، الأمير المسمى مصطفى اصطفاه الله بالإمامة وجعله حيث ما توجه تقدم الخير أمامه ،وقدموا النصرة قُدّامه ،لا زالت كلمة المسلمين في أيام دولته عالية ، وقيمة العلماء في أرجاء مملكته غالية (...) " ويظهر أن الغرض من مدحه ما قال عن تقديره للعلماء و بسطه للخير في أرجاء سلطنته وهي تبين ولاء منطقة مزاب وعلمائها لحكام الإيالة وتبعيتها لها .

ج – في التاريخ: أحصينا قصيدة واحد أصلها غير متوفر وجدنا منها بيتين في مخطوط ملحق السير الجزء الأول للشيخ ابراهيم بن عيسى ابو اليقظان في صفحة 58 و تبدوا مهمة بالنظر لموضوعها الذي أرخ له الشيخ مُحَمَّد بن أبي القاسم والمتمثل في تلك النجدة العسكرية التي بادر بها اباضية مزاب لإخوانهم إباضية وارجلان حينما باغتهم بنو جلاب ، وهذين البيتين هما:

أتاهم العدو حين بلغـــــوا البلد مسرعا ولم يوان

أعنى ابن جلاب أتى بجيشه لقتل عزابة ورجلان.

غير أننا بتصفحنا ما أنتج مُحَمَّد بن أبي القاسم في مختلف الفنون نستخلص منها بعض الإشارات التاريخية و الأحداث في تلك الفترة ، كالمرثيات والمدائح السابقة الذكر وغيرها .

د- في نسب الدين : قصيدة لامية جاء فيها ذكر أئمة الدين في المذهب الإباضي من الرسول الكريم ﷺ إلى والده و غيرهم من العلماء و هي سلسلة نسب الدين فهي قصيدة وجد منها بيتين ولم يظهر لباقي القصيدة أثر إلى يومنا هذا ، وقد أشار إلى ذلك الباحث بشير الحاج موسى في كتابه [1] والبيتين هما:

أخذت العلم عن أبي وقدوة مذهبي وشيخي وأستاذي أخي العلم و العلا

عن الشيخ موسى المصعبي بن مُحَمَّد على شيخه عيسى الشهيد المزمـــلا

و- ردود و أجوبة و رسائل : له عدة رسائل و أجوبة موزعة بين الخزائن لم نحصها فمنها مفقودة الأصل و منها كاملة الشكل ، ومنها أصلية النسخ ومنها منسوخة عن الأصل أو غيره ، وله في علم الميقات والفلك رسالة ، وفي أطوار خلق الإنسان قصيدة ضمن جوابه لرسالة وجدت ملقاة في المحراب وقد ورد فيها أيضا أسئلة يمتحن فيها الشيخ ذلك المجهول ويطلب منه في الأخير أن يتقدم اليه ليبين له ما أراد .

جدول (5) ما نسخه الشيخ مُحَمَّد بن ابي القاسم في اللغة العربية ومختلف الفنون"

العنوان	صاحب التأليف	التاريخ	الفن
ذكر لمع من سيرة الحلقة	البرادي ،أبو الفضل أبو القاسم	قبل 1129هـ	السير والتراجم
أبواب وفصول في الفلك والميقات	جمعها مُحَمَّد بن أبي القاسم	قبل 1129هـ	الفلك وعلم الميقات
شعلة سبيل الداج في شرح أرجوزة السراج	مجهول ،تعاون الأب والابن في نسخها	قبل 1129هـ	الفلك وعلم الميقات
نظم في المعميات (أبيات في اللغة ونظم مثلث قطرب)- نسخت مرتين	مجهول و أخرى ربما القادري (هكذا وردت في الفهرس)	قبل 1129هـ	في اللغة العربية وعلومها
ألفية ابن مالك – في نسختين –	مُحَمَّد بن عبد الله بن مالك الطائي	أواخر القرن 11هـ	اللغة العربية
"الحمد لله لا أبغي به بدلا" قصيدة لامية الأفعال	مُحَمَّد بن عبد الله بن مالك الطائي	أواخر القرن 11هـ	اللغة العربية علم الصرف
سلام الله ربي ذي الجلال	أبو القاسم بن يحي المصعبي	أواخر القرن 11هـ	التاريخ والتراجم
قصيدة همزية في الرثاء	أبو القاسم بن يحي المصعبي	أواخر القرن 11هـ	قصائد ومنظومات (الرثاء)
قال الفقير زكرياء"راجيا"	زكرياء بن افلح الصدغياني الجربي	[1116هـ]	اللغة العربية وعلومها

[1] بشير الحاج موسى :المرجع السابق، ص37.

أوضح المسالك الى ألفية ابن مالك–منسوختين	عبدالله بن يوسف بن هشام الأنصاري ،أبو مُحَمَّد	إحداهما أتمها يوم الاثنين 28رمضان 1110هـ	اللغة العربية وعلومها
حكاية حاتم الأصم مع أستاذه شقيق البلخي	مجهول	حوالي 1086هـ	التاريخ والتراجم

أحصينا من منسوخات الشيخ مُحَمَّد بن أبي القاسم من غيره في فنون اللغة العربية و مختلف الفنون الأخرى 14 منسوخة مع احتساب تكرار منسوختين ،منها 6 منسوخات في اللغة العربية وعلومها ، منها من أمهات الكتب كألفية ابن مالك المعروفة بـ" الخلاصة " ،هي متن شعري من نظم الإمام مُحَمَّد بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني فهي من أهم المنظومات النحوية التي حظيت بعناية العلماء والأدباء ،كما نسخ كتاب أوضح المسالك إلى ألفية بن مالك السالفة الذكر لعبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري ، كما نسخ لامية الأفعال لنفس المؤلف السابق مُحَمَّد بن عبد الله بن مالك في علوم الصرف ،وغيرها من المنسوخات في اللغة العربية وعلومها ، ونجد له ما نسخ عن والده أبو القاسم قصيدة همزية في الرثاء ،وله منسوخة مشتركة مع والده في الفلك و علم الميقات "شعلة سبيل الداج في شرح أرجوزة السراج "وهي لمجهول ،وله أيضاً منسوخة جمع فيها أبوابا وفصولا في الفلك وعلم الميقات ،كما نسخ عن أبيه مؤلف في السير والتراجم عنونها المفهرسون بـ "سلام الله ربي ذي الجلال "، وله في سير حلقة العزابة ما نسخ "ذكر لمع من سيرة الحلقة" عن الشيخ أبو الفضل أبو القاسم بن إبراهيم البرادي، وغيرها من المنسوخات التي أتينا على أهمها و ما اطلعنا عليها في فهارس المخطوطات .

جدول رقم (6) ما نَسَخ النُّسَّاخ عن الشيخ مُحَمَّد بن أبي القاسم في اللغة العربية ومختلف الفنون :

عنوان المنسوخة	المجال	عدد المنسوخات
بحمد إله العرش نبدأ النظام	التاريخ والتراجم (رد التحية لأهل عمان)	04
جواب على الكتاب الملقى في محراب مسجد غرداية	الحكم ومختلف الفنون	04
شرح الأسئلة التي وجهت لبعض المخالفين	في الحكم و المعميات (الألغاز اللغوية و الشرعية)	02
بحمد إلهي أبتدي الشعر أولا	التراجم (نسب الدين)	01
أسئلة و جواب بعض المخالفين	الحكم	01

فك لغز في النحو	اللغة العربية	01
حمداً لذي العزة و الكبر	رثاء	01

في هذا الجدول الذي يوضح ما نسخه النُّساخ من آثار الشيخ مُحَمَّد بن أبي القاسم في اللغة العربية و مختلف الفنون وجدنا 9 من مؤلفاته من أصل 14 في هذا المجال ، أما عدد المنسوخات باحتساب ما تكرر منها حسب الجدول 6 فهي 12 منسوخة ،تأتي منظومته التي هي رد تحية لأهل عمان و مدح سلطانهم التي تبدأ بـ " بحمد إله العرش نبدأ النظام " مكررة 3 مرات ، أما ما تعلق بالأسئلة "المعميات"[1] التي أرفقها الشيخ في رسالة رده على من سأله عن دليل نجاسة بول البهائم السلفة الذكر ، فطلبها أحد الأفاضل ربما يكون من طلبته أو المهتمين بكتاباته لفكها و إظهار حقيقة ما يصبوا إليه الشيخ ، فقد تكررت هذه مرتين . أما باقي ما نسخه الموضحة في الجدول فقد نسخت مرة واحدة .

-إن فرضية تأثير الآباء على الأبناء التي بينها في الفصل الأول قد تحققت في هذا الفصل من خلال ما ترك الشيخ مُحَمَّد بن أبي القاسم من تأثير علمي في أبنائه ونسله من بعده ، الذين أصبحوا من علماء و مشايخ ،كما أنه خلف علماء قدموا إليه من اباضية قصور وادي مزاب و وارجلان .

- مما امتاز به الشيخ مُحَمَّد بن أبي القاسم انفتاح على غير أبناء الإباضية بفتح حلقاته العلمية لبعض طلبة العلم من المالكية.

- اهتم الشيخ مُحَمَّد بن أبي القاسم بأغلب علوم النقل وبعض من علوم العقل واهتم أكثر بعلوم الشريعة لما تمليه عليه وظيفته الدينية والاجتماعية .

[1] وهي التضليل و التعمية ، استعمل العرب في كثير من فنون العلوم هذا المصطلح كناية عن عملية تحويل نص واضح إلى نص غير مفهوم باستعمال طريق وأساليب محددة، يستطيع من يفهمها أن ادراك مدلول النص و قد نطلق عليها الألغاز و يطلق عليها ايضا التشفير .

– يُعتبر الشيخ مرجعا في الفقه و الفتوى خاصة عند أهل وادي مزاب و كذلك خارج وادي مزاب وهو ما تدل عليه بعض المراسلات المتبادلة بين بعض علماء جربة و عمان من جهة و الشيخ مُحَّد بن أبي القاسم وهي مراسلات لا تخلوا عادة من الإشارة إلى بعض المسائل و النوازل الفقه .

– اعتمد الشيخ مُحَّد بن أبي القاسم في كتاباته أدباً راقياً و لغة سليمة واضحة وهذا من خلال ما وضحناه من آثاره سواء في النثر أو في الشعر فهو بذلك أديباً لامعاً رغم أنه لم يخُلف في ما اطلعنا عليه آثاراً ذات شأن في اللغة والآداب .

– بالإضافة إلى سعة اطلاعه في علوم الفلك والميقات و علوم الإنسان التي تظهر في " قصيدته في أطوار خلق الإنسان" .

– كان ناسخاً بارعاً واضح الخط ،كما تميز بسعيه لإكمال النسخ الهامة من المؤلفات المبتورة بإعادة نسخ أوراقها من نسخ أخرى كاملة وترميم المخطوط الذي يصيبها تلف ليبعث الروح فيه من جديد [1].

لم يقتصر نشاط الشيخ مُحَّد بن أبي القاسم في حياته في مجال التربية والتعليم والتأليف بل تعداه إلى مجالات أخرى لا تقل أهمية من سابقاتها بل ترتبط بها و تدعمها وتشكل أساساً متيناً لها وهو الدور الاجتماعي والحضاري العمراني ،مما بوأه مكانة لدى العام والخاص مخلداً اسمه وآثاره في الذاكرة الجماعية للمجتمع المزابي بوادي مزاب ، وهو ما سنفصل فيه في الفصل الثالث.

[1] الياس بابانجار: المرجع السابق،ص70.

الفصل الثالث :الآثار الاجتماعية و العمرانية للشيخ مُحَّد بن أبي القاسم.

المبحث الأول : مهامه الديني و أثره الاجتماعي .

المبحث الثاني :تطويره لنظام تقاسيم المياه.

المبحث الثالث :حضوره في الذاكرة الجماعية بوادي مزاب.

المبحث الأول :مهامه الديني و أثره الاجتماعي .

1-مهامه الدينية :

إن مكانة الشيخ مُحَّد بن أبي القاسم العلمية و الاجتماعية التي اكتسبها خلال مساره العلمي و العمل الاجتماعي و ما أبداه من خصال و أخلاق حميدة واستعداد لتحمل المسؤولية [1]،مكنته في سن مبكرة من تقلد مسؤوليات دينية بانضمامه كعضو إلى حلقة العزابة[2] ، ثم ارتقى الى مهام اكبر بتحمله أعباء وظيفة إمامة مسجد قصر غرداية ، التي أداها على أحسن وجه من خلال ما أبداه من انضباط و حكمة في المواقف وجدية في العمل ورسوخ في العلم و قد أشارت أحد المصادر الى أنه حضر في عقد اتفاق ضمن جماعة العزابة وسجل الكاتب أن الشيخ مُحَّد كان حينها إماماً ،ثم تقلد مشيخة حلقة العزابة بالبلدة [3]،ودليل ذلك رسالة وجهها الى مجلس عزابة وارجلان باسم عزابة قصر غرداية[4].

بعدها رشح الشيخ مُحَّد بن أبي القاسم لعضوية مجلس عمي سعيد، فكان من كتاب المجلس والدليل على ذلك المراسلات التي صدرت عن المجلس من تحريره نذكر منها رسالة من عزابة قصور وادي مزاب الى علماء جربة قال عنها سالم بن يعقوب في كتابه :" ومما كتب به بنو مصعب أهل جزيرة جربة ،ما حرره العلامة الشيخ مُحَّد بن أبي القاسم المصعبي على لسان جم من العلماء والتلامذة و أعيان بني مصعب وخص به الشيخ أبا زيد بن أبي ستة السدويكشي " ،وقد وردت الرسالة نثراً مذيلة بقصيدة جاء فيها.

هذا الكتاب يؤم أهل مذهبنا من الجزيرة أولي العلم والحكم
ذوي البصائر لازالت محبتكم راسخة تنحل الأبدان من سقم[5].

وبعد أن أثبت مقدرة في حضوره بمجلس الشيخ عمي سعيد ارتقى لمرتبة شيخ الوادي ليصبح رئيسا للمجلس الذي يعد الهيئة العليا للشؤون الدينية والفقهية والاجتماعية بوادي مزاب والمسؤول

[1] يوسف الحاج سعيد : المرجع السابق، ص 30.
[2] بشير الحاج موسى : المرجع السابق،ص10.
[3] نفسه، ص11.
[4] بشير الحاج موسى: المرجع السابق ،ص11.
[5] سالم بن يعقوب: المرجع السابق ،ص ص 380- 381.

عن البث في المسائل المستجدة من نوازل فقهية وغيرها[1]، ومن بين ما يؤكد ذلك رسالة الشيخ باسه الموجهة الى طلبة بنو مصعب بجربة التي أورد فيها أجوبة للشيخ مُحَّد بن أبي القاسم عن بعض مسائل فقهية واحكام شرعية تدل على تضلعه في الفقه وعلوم الشريعة[2].

2- أثره الاجتماعي :

ان المجتمع المزابي مجتمع مؤسساتي مهيكل ضمن إطار هرمي قمته مجلس العزابة الذي بيده الحل والعقد كمجلس استشاري تشريعي ثم قضائي فلا يقتصر دوره في المسجد، بل تعداه إلى الشؤون العامة والمرتبطة بحياة أفراد المجتمع، ومن هذا المنطلق يحرص العزابة على تنظيم العلاقات الاجتماعية ، بما تفرضه شريعة الله وسنة رسوله ،ولا يتأتى هذا إلاّ بالتدخل المنظم في كل تفاصيل حياة الأفراد و مواكبة حركة تطور المجتمع ،وهذا كله نابع من تدخل عدة مميزات يختص بها المجتمع المزابي، منها الخصوصية المتمثلة في العقيدة الإباضية وهو ما يجعلهم في حالة دفاع عنها داخلياً بتطبيق مبادئها حرفياً من خلال سن قوانين وضوابط ، فلا يسمح بأحد بتجاوزها أو مخالفتها ، وسنورد نموذجا من الاتفاقيات التي وقعت في حياة الشيخ مُحَّد بن أبي القاسم و قد يكون طرفا في تحديدها حينما كان كاتبا للمجلس ثم رئيسا له و الاتفاق كان في ضبط تفاصيل العرس وقد وُقع في شهر رجب من سنة 1108هـ/1697م بين قصور مزاب السبعة في مجلس عمي سعيد[3].

عرف وادي مزاب في زمن الشيخ مُحَّد بن أبي القاسم فتن داخلية وخارجية كان له دورًا في رد العدو وإخماد نيران الفتن بكل ما أوتي من علم وقوة وسعى إلى نشر الأخوة والتآلف فيما بين المتنازعين[4].

أ-الفتن الداخلية الأسباب و الإجراءات :

كانت للفتن الداخلية أسباب عديدة جعلت نارها تتقد من حين لآخر ولأدنى سبب أحيانا ، فهذه الفتن أنهكت قوى مزاب وأعاقت تقدمها وقد أدت أحيانا الى نفي عشائر، ولم تكن المنطقة

[1] بشير الحاج موسى : المرجع السابق، ص 11.

[2] ابراهيم ابو اليقظان: المصدر السابق ،ص ص 72-73.

[3] يوسف الحاج سعيد: المرجع السابق، ص 60.

[4] بشير الحاج موسى: المرجع السابق، ص18.

بدعًا من المناطق المجاورة، فما كان يقع في مزاب كانت تعاني منه الجهات الأخرى باقي البلاد في تلك الفترة .

الأسباب :

العصبية القبلية:

كان يغديها مبدأ التناصر وفكرة الدفاع عن الشرف ، فالفرد الواحد قد يجر عشيرته أو قبيلته إلى صراع يعم البلدة وربما كامل المنطقة ولكن هذه الصراعات لم تتعد يوما هذا الإطار ولم تتطور إلى حرب بين قريتين يقصد منها استيلاء إحداهما على الأخرى .فكانت العشائر في مزاب تشكل كتلين : الصف الغربي و الصف الشرقي وهو ما يطلق عليه صراع "الصفوف القبلية"[1]، وكان التنافس صفة سائدة لأسباب معروفة متعلقة بضروريات الحياة ، مما لا يخلو منه زمان أو مكان ،ففي سنة 1099هـ /1688م وقعت فتنة في غرداية بين الصفين ومات فيها خلق كثير [2].

الانحطاط الثقافي والجهل:

ساهم عدم الاستقرار و انتشار الفتن في تفشي الجهل و بعد الناس عن مصادر العلم ، وقد وصف الشيخ مُحَّد بن أبي القاسم حال مزاب في مرحلة من مراحل حياته في قصيدة له أرسلها الى اباضية عمان مما جاء فيها :

وقد عم أهل الغرب جهل وقد بدت معاصي جهارا واستباح الحرام .

وهو دليل عن الأوضاع المتأزمة التي عانى منها مجتمع ، خلال حياة الشيخ مُحَّد بن أبي القاسم من انحطاط علمي و تدني خلقي، غير أن ما عبر عنه الشيخ لا يمكن اعتباره حكما عاماً وشاملاً لفترة زمنية طويلة فهو يعبر في الحقيقة عن أشجان عالم أتعبته أعباء المجتمع و تصرفات بعض أفراده[3].

ضعف سلطة الضبط في المجتمع وتراجع دور العزابة والعوام :

[1] بلحاج ناصر :المرجع السابق ،ص 90.
[2] يوسف الحاج سعيد: المرجع السابق، ص108.
[3] بلحاج ناصر : المرجع السابق ،ص100.

ارتبطت النزاعات الداخلية ارتباطا وثيقا من حيث استفحالها أو نقصها بأطوار قوة وضعف الهيئات المسيرة للمجتمع وعلى رأسها العزابة كهيئة مشرفة و العوام كهيئة منفذة ، فبضعف العلاقة بينهم يظهر النزاع وتسود الفوضى[1]، رغم ما قد يبدوا عن بعض أفراد تلك الهيئات من حزم و قوة الشخصية، لكن كما قال الإمام أفلح بن عبد الوهاب حينما طَلب منه أهل وارجلان إقامة إمارة لهم فرد بمقولته المشهورة" لا يستتر الجمل بالغنم " فقوة الفرد دون دعم من الجماعة لا تفيد .

الحاجة الضرورية للماء وندرته :

باعتبار المنطقة الصحراوية لبادية بني مصعب كغيرها من المناطق الصحراوية تتميز بندرة الماء وهو العنصر الحيوي للحياة لقلة موارده، فالحاجة الضرورية و الدائمة له كانت عاملاً لصدامات و نزاعات بين أفراد وجماعات من أجل الحصول عليه بشتى الطرق مما عصف باستقرار المنطقة ، وقد حدث في واحة غرداية بعد أن تم استحداث مناطق جديدة للزراعة وبالتالي ازدياد الحاجة إلى الماء ومما سبب خلافا بين المستصلحين الجدد والقدامى ،ذلك أن استحداث أراضي جديدة للحرث ، يعني استنزاف كميات إضافية من المياه الجوفية وكذلك مياه الأمطار والسيول[2].

كما أن مُلاك ساقية سيل (بوشمجان)[3] تنازعوا وكثر بينهم التشاجر على مياه السيل وكان الخلاف هنا حول ضوابط تغيير مسار قنوات المياه من غابة الى أخرى ، خاصة عندما يقدم أحدهم على بيع حصته من الماء أو شرائها[4].

دوره في الضوابط والإجراءات:

بادر مجلس عزابة وادي مزاب إلى سن ضوابط ردعية و اجراءات حازمة عديدة في فترات متلاحقة ، لمنع وقوع صدامات داخل البلاد ولضمان الاستقرار ، ففي سنة 815هـ/1413م تم اتفاق أعضاء المجلس جملة من الحدود شرعية و غرامات مثبتة منها أن :"قاتل النفس التي حرمها

---

[1] نفسه ،ص102.

[2] بالحاج ناصر : المرجع السابق ،ص 103.

[3] هي ساقية سيول الأمطار القادمة من الناحية الشمالية الشرقية متجهة الى اجنة واحات قصر غرداية الشرقية

[4] بالحاج ناصر :المرجع السابق ،ص 103.

الله تعالى (...) يقتل وإن قُتل القاتل وتقوم فتنة عليه في بلاده ويهرق دماء المسلمين بسببه ، فان المجلس اتفق على القاتل أن يؤدي دية المقتول عددها اثنتا عشر مائة ريالات فضة ويخرج من البلاد عامين (...) وإن وقعت فتنة في حومة من البلاد وماتت نفس ولم يعلم أهل البلد من قتلها ووجدوا الميت بغير سلاح ولا آلة في يده من أمور الفتنة ، والميت من أهل البلد أو من غيرهم فعلى أهل البلد الديه الى أهل الميت (...) وإن شهد أهل الفتنة على واحد منهم وأنكر الواحد فعلى الجميع الدية ،وإن تعصبوا وامتنعوا من دفع الدية بعد طلبها منهم فتؤخذ منهم قهرًا . وأصحاب التعصب ينفون من البلاد وإن سمح أهل النفس برضاهم فلا شيء على من ذكر". وتذكر المصادر أيضا أن المجلس أقر اتفاقاً سنة 1052هـ/1642م ،ضابطًا لكل من تعدى وحمل أداة ضد أخيه حيث جاء فيها "اتفقوا على من يحمل الحديد فغرامته عقوبة خمسة وعشرون ريالا والذي ضرب به خمسون ريالا والنفيان .والحمية فغراماتها خمسة وعشرون ريالا "[1]، طبقت هذه الاتفاقات وغيرها في الفترات اللاحقة منها مرحلة الشيخ مُحَمَّد بن أبي القاسم ، استنادا الى تلك الاتفاقيات سعى من أجل فض النزاعات بالطرق المشروعة بإنصاف كل ذي حق حقه ومعاقبة كل من ظلم أو تعدى على غيره ، مع تقديم مبدأ الصلح بين الأطراف على غيرها من الحلول ، ونشر روح الأخوة و التسامح وزرع مبادئ التعاون و التكافل و نكران الذات .

نصوص وتنظيمات الشيخ مُحَمَّد بن أبي القاسم لفض نزاعات الماء :

النص 1: نص اتفاق بين أعيان وشخصيات معتبرة وبين أكثر المستفيدين من مياه السيل عبر ساقية بوشمجان مستخرج من سجل القاضي عمر بن صالح ، بتاريخ شهر ربيع أول 1116هـ/جويلية 1704م:

"تصرف المياه من مجرى الوادي نحو سهل بوشن ومنه يتم توجيهها نحو الأجنة، لا يتدخل المستفيدون حين سيلان المياه ،بل يتركونها تسيل بصفة طبيعية ،لتغمر كل الأجنة ،وذلك حتى يتم تحديد مجراها الملائم ،يتضامن المستفيدون من أجل خوض التجربة ،ولا يتحمل أي منهم مسؤولية الآخرين في الأضرار التي يمكن أن تنجر عن هذه المياه .قسم المياه على قدم المساواة ،ليس حسب الرؤوس ،بل على حسب عدد الأجنة لصاحب جنة قسمة ،ولصاحب جنتين قسمتين .لا يعتبر هذا التقسيم نهائيا إلا بعد أن تدخل المياه في الأجنة مرة أو مرتين".

[1] يوسف الحاج سعيد : المرجع السابق، ص 107.

النص 2 :نص حكم صدر عن الشيخ مُحَّد بن أبي القاسم ،في قضية نزاعات بسبب بيع المستفيدين من ساقية بوشمجان لمنابهم من مياه السيل ،بعد عرضه على خبراء أكفاء أي الأمناء ،ناسخ الوثيقة هو الشيخ عمر بن صالح [1]:

"المستفيدون يقصد به الجدد ملزمون بالقيام بأشغال التهيئة في الشوارع التي يسيل عبرها منابهم من مياه السيل . على البائعين أن يتعاونوا معهم طيلة يومين .بعد انتهاء الأشغال ،يتولى المستفيدون أو مانحوا الجنان مهمة مراقبة مياههم للسقي عبارة مانحوا الجنان يقصد بها الذين منحوا حق عبور المياه وسط جنانهم والله اعلم"[2] .

فكر الشيخ مُحَّد بن أبي القاسم في إنشاء نظام عادلا سنة 1707م[3] لتقسم مياه السيل،لذا قام بنص اتفاقيات وإصدار أحكام تضبط طرق الاستفادة من هذا النظام و تفادي النزاعات المتكررة مما جاء فيها:

- وضع آليات مراقبة دائمة لتطبيق النظام المتفق عليه .
- تغريم ومعاقبة من يتعدى على حق غيره بسد مصرف أو توسيعه[4].

حرص الشيخ مُحَّد بن أبي القاسم على تنفيذ الاتفاقيات السابقة لعهده بين الناس وبين القصور على غرار اتفاق مجلس وادي مزاب في شوال سنة 1052هـ/1643م ما نصه :"من تعدى بزيادة الماء في الغابة أي ماء السيل لغابته أو لساقيته زيادة عن القياس الموجب له فغرامته خمسة وعشرين ريال و النفيان" هذه الأحكام تعبر بوضوح عن الصرامة المطبقة في تنفيذ العقوبات لأهمية الماء من جهة ولتجنب النزاعات[5].

ب–دوره في إخماد الفتن الخارجية :

---

[1] نسخ هذه الوثيقة الشيخ عمر بن صالح بتاريخ 03رمضان 1188هـ/07 نوفمبر 1775م .

[2] مُحَّد بن يحي: العمارة الميزابية وضوابطها العرفية، مدينة آت يسجن أنموذجا ،ط1،مطبعة بصمة ،بني يزقن–غرداية –الجزائر ،2021م، ص ص 246-245.

[3] إبراهيم طلاي: مزاب بلد كفاح ،مطبعة الآفاق ،بني يزقن –غرداية –الجزائر ،2013-2014م ،ص69.

[4] هي الكوات الرئيسية والفرعية التي يتسرب منها مياه السيول الى البساتين.

[5] بالحاج ناصر :المرجع السابق،ص305.

تعرضت منطقة مزاب لتهديدات خارجية من قبائل معادية و قوى تسعى لفرض الطاعة والولاء كما حدث في الحملة التي قادها يحي آغا الى وادي مزاب في شهر جمادى الأول سنة 971هـ /ديسمبر 1563م[1] ،بالإضافة للهجومات والفتن المتوالية على منطقة الواحات المتشكلة أساسًا من بلاد أريغ و ورجلان وسوف ،فما كادت هذه الفتن تخمد ويُتخلص من أحدها حتى تثور أخرى [2].

من هذه الصراعات تذكر المصادر ما حدث مرارا من هجمات قبائل بني جلاب[3] على منطقة ورجلان ففي سنة 1070هـ تقدم بنو جلاب على ورجلان فما كان من أهل ورجلان إلاّ طلب الإغاثة من بني مصعب فأنجدوهم و كان الشيخ أبو القاسم بن يحي-الأب- وقتها شيخًا للبلد ووثق تلك الإغاثة بقصيدة نونية قال فيها:

إن سمعنا مستغيثا بالندا يامن يغيث أهل ورجـلان

يقول يا لله يا للمسلمين لنصر دين ربنا الرحمـــان

قلنا ألا لبيك يا نعم الفتى نحن بياض الوجوه للإخوان

فقام أهل مصعب كلهم لدفع أهل البغي والطغيان [4].

كان الشيخ مُحَّد بن أبي القاسم في تلك الحملة شاباً في سن 25 وهو ما يدل على أنه كان شاهدا إن لم نقل مساهما في هذه الإغاثة.

نجدة بني مزاب لإباضية وارجلان:

[1] كانت الحملة في عهد حسين بن خير الدين باشا ،الغاية منها هو إخضاع وادي مزاب لجمع الضريبة ،وتفاصيل ذلك تعود الى نص الرسالة التي يبدو أنها كاتبها الشيخ أبي مهدي عيسى باسم العزابة :للمزيد ينظر بلحاج ناصر :المرجع السابق ، ص ص 152- 153- 154.

[2] علي يحي معمر : المرجع السابق ،ص341 .

[3] بني جلاب :هي سلالة سلاطين تنحدر من المرينيين حكموا سلطنة تقرت بين عامي 1414 و 1854.

[4] مؤسسة عمي سعيد :فهرس خزانة مكتبة اروان العطف، رقم الفهرس: 43.

في سنة 1126هـ/1714م استغاث أهل وارجلان مرة أخرى أهل مزاب لنصرتهم لرد حملة بنو جلاب عليهم ،وللشيخ مُحَّد بن ابي القاسم قصيدة يصف فيها تلك النجدة التي خلدتها هذه المعركة ،ومما جاء فيها :

أتاهم العدو حين بـــلغوا البلد مسرعا ولم يوان

أعنى ابن جلاب أتى بجيشه لقتل عزابة ورجلان[1].

كان الشيخ مُحَّد بن أبي القاسم حينها شيخا لوادي مزاب ، وهو ما دفعه للتفكير في رد العدوان عن اخوانه بوارجلان[2] التي تربطهم بسكان المنطقة روابط الجغرافية والتاريخية والمذهبية و الاجتماعية[3]، كانت حافزا و دافعا لأهل وارجلان طلب النجدة من أهل مزاب ، و لخبرة الشيخ وحنكته في تنظيم السرايا و تجهيز القوى العسكرية التي قد اكتسبها بقربه من والده حينما استغاث أهل وارجلان سابقاً ، عين الشيخ داود بن ابراهيم طباخ [4].

سار بنو جلاب من تقرت الى وارجلان بجيش كبير" وسلكوا طريق الفساد والنهب والقتل "، فدافعوا أهل وارجلان عن أرضهم دفاعا مستميتاً ، فشد اباضية بني مزاب أزرهم بعد ما طلبوا منهم نجدتهم فأسرع أهل مزاب بخيلهم ورجالهم ،فحكّموا سيوفهم في رقابهم و اتفقوا على أن يقدموا عليهم جميعاً الشيخ داود إمام دفاع [5]، وهو آخر إمام للدفاع عند الإباضية[6]، وقد تمكن جيش بني مزاب الوقوف أمام العدو فرده عن أطماعه وهزمه هزيمة نكراء وبانتهاء الحرب رجعت الطمأنينة

---

[1]–ابراهيم ابو اليقظان: المرجع السابق ،ص ص 57– 58.

[2]ابرهيم زدك :المرجع السابق،ص232.

[3]ان المجتمع المزابي يدين للمجتمع الورجلاني بدين يتعلق بقدوم المذهب اليهم ، وكذا ما تم من استحداث تنظيمات دينية كمجلس العزابة و غيرها كانت لها امتدادات وجذور في منطقة وارجلان عموما وسدراتة خصوصاً .

[4]تعريف طباخ داود بن ابراهيم :حي بين في :(1123هـ/1711م): يعد من مشايخ غرداية بوادي مزاب ،وأحد رجالها عرف عنه الشهامة والمروءة والشجاعة ومن مظاهر ذلك تقدمه ضد بنو جلاب ،وقد تمكن من الوقوف أمام العدو ويعتبر آخر إمام للدفاع من مدينة غرداية ،للمزيد ينظر: مجموعة مؤلفين ،المرجع السابق، ص291.

[5]ملاحظة حول إمارة الدفاع عند الإباضية :عندما تبلغ الإباضية أخبار عن مهاجمة عدو لهم ،أو توقع خطر ينزل عليهم ،فانهم يتفقون على واحد منهم يبايعونه على أن يقودهم في معركة الدفاع ،فإذا انتهت المعارك ورجع العدو وأمنت البلاد بطلت البيعة والإمارة تلقائيا ،ويصبح إمام الدفاع فردا كسائر الناس، للمزيد ينظر انظر: علي يحي معمر : المرجع السابق،ص346 .

[6]نفسه ،ص 348.

والاستقرار إلى ورجلان[1]، ضمت هذه النجدة حوالي 700 مزابي رافعين لواء أبيض ولما وصلوا وارجلان ،انضموا الى إخوانهم ووقعت معارك قاسية دامت ثلاثة أيام بلياليها ، أسفرت عن انهزام الجيش الغازي فطلبوا السلامة ورجعوا من حيث أتوا [2].

وقد أوردت المصادر عدة استغاثات من اهل وارجلان لبني مزاب لنجدتهم ضد تهديدات القبائل المعادية نذكر منها :غارة على ورجلان عام 1155هـ/ 1742م في هذه السنة قدمت محلة السلطان سليمان ، سلطان وادي ريغ لإفساد وراجلان فتوجه إليها من بني مزاب محلة كبيرة لينصروا إخوانهم ،فمات كثير منهم ومن محلة السلطان سليمان، وفي صفر من عام 1227هـ وقعت مقتلة عظيمة بين سعيد عتبة والمخادمة وأهل ورجلان وبني الأغواط ومن معهم من الأعراب،فاستنفر أهل مزاب لنجدتهم سرية كبيرة إلى وارجلان [3].

المبحث الثاني :تطويره لنظام تقاسيم المياه.

تعد منطقة وادي مزاب ذات الطابع الصحراوي من أفقر المناطق وأقلها مياهاً[4]، فقد كان الاعتماد الرئيسي في التزود من الماء هو مياه سيول الأمطار،ونظرا للحاجة الماسة لمياه الغدير فكر السكان في إيجاد أساليب تمكنهم من استغلال مياه السيل[5]وتفادي ضياعها ،فجاء الشيخ مُحَّد بن بن أبي القاسم ليطور هذا النظام ويضبط طرق استغلال المياه بتوجيهها وتخزينها ومن ثم الاستفادة منها ،والتركيز في هذا النظام على ضمان توزيع مياه السيل على البساتين بالعدل وما فضل منه تزود به الآبار للتخزين[6] ،ومنع التجاوزات التي قد تقع بين الأفراد والجماعات عند استغلال المياه وفقًا للقوانين والقواعد المتفق عليها في المنطقة .

1-الطرق البدائية في الاستفادة من مياه السيول:

[1] إبراهيم زدك :المرجع السابق، ص232.

[2] يوسف الحاج سعيد ،المرجع السابق، ص 89.

[3] نفسه ،ص94.

[4] Claude Pavard ,op.cit ,p68.

[5] بالحاج ناصر: المرجع السابق، ص ص 296- 297.

[6] حمو بن زكري :المرجع السابق ، ص73.

إن جفاف المياه السيول وندرة القطر[1] دفعت حاجة السكان للتزود بالماء الى اعتماد أسلوب التنقيب عنها في جوف الأرض فحفروا بذلك آبار في صخور صماء بجهود مضنية ووسائل بسيطة بإرادة تشبه تلك الصخور في صلابتها ، ليبلغ عدد تلك الآبار في منطقة وادي مزاب الألف، بعضها تجاوز عمقها عشرات الأمتار[2]، هناك عدة أساليب يجدر بنا التطرق إليها التي اعتمدها السكان في استغلال مياه الأمطار لكونها المنطلق والأساس في النظام المتطور لاحقا .

إن أول فكرة عمد إليها سكان المنطقة هي استغلال مياه الأمطار التي تنحدر من الشعاب الصغيرة والسبب في ذلك هو صغر حجم الماء وسهولة التحكم فيه ، كان أهل البساتين القريبة من بعضها يجتمعون لجلب الماء من أقرب شعبة ،حيث يقومون ببناء حوض ماء كبير في منتصف المجرى الطبيعي للشعبة أو الوادي وبعدها يقسم الى قسمين ويبنى لكل قسم حوض لجمع المياه لتقسيمها على البساتين عن طريق السواقي ،والساقية تكون مبنية بهندسة خاصة تميل مع انحدار الشعبة .

وهناك طريقة أخرى لاستغلال مياه الأمطار التي تنحدر من الأخاديد المحفورة في الجبل والتي تسمى بالسوارق، فيبنى لها جدار لا يتعدى ارتفاعه 35سم حتى يصل به الى البستان وفيها يبنى للمياه حوض تتجمع فيه لتسقي الغابة ،ويعتبر هذا النمط تصغيرا للنمط الأول، وبالتالي فمن خلال هذه التجارب الصغيرة في التحكم وتوجيه مياه الأمطار من الشعاب والأخاديد الصغيرة أخذت الفكرة عن ذلك تتطور حتى أصبح السكان يتحكمون في الوديان الكبيرة ويوجهونها حيث شاءوا ،ونتج عن ذلك نظام تقسيم المياه[3] .

2- المراحل الأولى لنظام تقاسيم المياه:

إن النظام الذي أوجده الجيل الأول في بساطته كان الفرد فيها مدفوعا بحاجته للماء فأوجد باجتهاده طريقة تلبي غايته التي تعتبر الأساس والمنطلق في تطويره لاحقا ، ففي سنة 672هـ/1273م استطاع الشيخ بأحمد بوسحابة[4] ، الذي نعتبره حلقة ضمن الجيل الثاني في

---

[1] القطر هو المطر.

[2] نور الدين بوعروة: المرجع السابق، ص08.

[3] نفسه ، ص 104.

[4] حمو بن زكري :المرجع السابق، ص91.

تطوير نظام تقاسيم المياه مع الشيخ بالحاج داود سنة 699هـ/1299م[1] ، في ظل نقص المصادر التي تفصل في إنجازاتهما فإننا نعتقد أن لهما يدا مع عائلة آل نعاليف[2] في بناء ساقيتهم ،أولى السواقي في مرحلة وضع نظام تقسيم المياه والتي تستمد مياهها من الوادي.

أما الشيخ مُحَّد بن أبي القاسم فنعده من الجيل الثالث الذي يرجع إليه الفضل في إحداث قفزة نوعية بتطويره نظام تقاسيم مياه سنة1707م ،حيث يعتبره البعض هو المؤسس الحقيقي لهذا النظام لما قام به من مجهودات جبارة وإبداعات ولمسات فريدة في مجال الري بواحات غرداية [3] ، لكن القرادي يرى أن الشيخ حمو والحاج "كان مجددا للتوزيع ،وقد يكون هناك من سبقه فلا يمكن أن تعيش غرداية خمس قرون بدون تنظيم للمياه "[4]وهو ما نرجحه ،ويذكر موسى قزريط في كتابه أن الشيخ حمو والحاج استعان في تحقيق مشروعه بأخته العالمة الطاهرة[5]،بما كان لهم من علم وخبرة في الري"[6].

3-لمسة الشيخ حمو والحاج في نظام تقاسيم المياه :

دوافع تطوير نظام تقاسيم المياه :

لقد اعتمد الشيخ حمو والحاج في تطويره لنظام تقاسيم المياه على عدة عوامل أهمها :

-كان سكان المنطقة الشرقية من الواحة يتأسفون على المياه الضائعة حينما يشاهدونها من أعالي جبل (بونوار) تذهب سداً دون استغلال، رغم حاجاتهم الماسة إليها ،إلا ماتستغله غابات آل نعاليف أمام هذا الوضع بقي أهل بوشمجان وأهل الشعبة حائرون إلى أن قيد الله لهم الشيخ حمو

---

[1] الشيخ بالحاج داود: تولى مشيخة غرداية له باع في علم الفلك والكيمياء والأحكام ،وهو أصل نسب عشيرة آل بلحاج .

[2] هي عشيرة من عشائر القديمة بقصر غرداية ومن أكبر ديارها عائلى نعلوفي لهم حوزات و أراضي بالناحية الشمالية الغربية لأجنة الغابة .

3حمو بن زكري : المرجع السابق،ص91.

4الحاج أيوب إبراهيم : رسالة في بعض أعراف وعادات وادي مزاب ،تح: يحي بن بهون حاج امُحَّد ،جمعية النهضة للنشر ،طباعة العالمية ، ط1 ،العطف-غرداية –الجزائر ،2009م،ص54.

5نحن نرى بطهرها وعلمها ساهمت في المشروع بطريق غير مباشرة ربما من خلال بعض الأراء في النظام أو من خلال تحريض النساء في أعمال تطوعية لتوفير الزاد للمتطوعين .

6حمو بابا وموسى :موسم الزيارة بوادي مزاب –بلدة تغردايت نموذجا ،تح: الشيخ موسى بن الحاج إبراهيم قزريط ،ط1، 2021م،ص105.

والحاج الذي حمل على عاتقه مسؤولية تنظيم المياه وإنقاذ حياة الآلاف [1]، وكان حينها شيخاً لمجلس عزابة وادي مزاب .

- النزاعات الداخلية التي تحدث من حين لآخر بين السكان لسبب ندرة الماء ، فكانت المظالم التي ترفع الى المجالس المختصة كمجلس العزابة و مجالس العشائر للبث فيها[2] أرقت جانبهم و هددت أمن و استقرار البلاد[3]، مما دفع بالشيخ بصفته شيخ البلدة في التفكير ملياً في الموضوع لوضع حد نهائي لهذه النزاعات ،وبحكمة الشيخ الذي استطاع أن يحول هذا العامل الذي كان عامل صراع و نزاع أن أصبح عامل تكافل وتعاون و تناغم وانسجام بين السكان في سبيل انجاز هذا العمل الحضاري من خلال الأعمال التطوعية الجماعية أي ما يعبر عنه (تويزة) [4].

- ومن العوامل القوية في التفكير في نظام تقسيم المياه ،دفع خطر الفيضانات التي قد تسببها السيول الجارفة لوجود المدينة على ضفاف الوادي[5]، وهذا بتقسيمها عند مصباتها قبل أن تتجمع وتشكل دفعات غزيرة و تسبب كوارث و أضرار كبيرة، يصعب التحكم فيها مثل الطوفان العظيم الذي حدث بقصر غرداية سنة 1306م[6]،و مما يروى عن الشيخ حمو والحاج أنه قال :"سينقض عليكم أسد مخيف إن استعددتم له أمنتم شره وغنمتم خيره ،وإن تهاونتم معه افترسكم" ويقصد بالأسد هنا السيول القوية الجارفة [7].

---

[1] عمر حواش : لغدير بحث حول تنظيم مياه السيول بوادي مزاب ،كتاب لشعبة العلوم الطبيعية والحياة للسنة الثانية ثانوي ،1413-1414هـ/ 1993-1992م،ص ص 21-24.

[2] E .Felin,etude sur la législation des eaux dans la chebka du mzab ,imprimerie administrative A.MAUGUIN,place d'armes BLIDA, 1908, p22.

[3] بالحاج ناصر :المرجع السابق ،ص 296.

[4] تويزة : اذا احتاج فرد الى عمل أو أراد مجتمع انجاز مشروع عمومي ، ينادى إليه جموع الناس فيلبي الجميع للعمل فيه بدون مقابل سوى مما يصرف من وجبات و صدقات لمن ساهم فيه.

[5] André Ravéreau,IeM'zab,une leçon d'architecture,ed:sindbad,paris,1981,p111.

[6] نور الدين بوعروة :المرجع السابق ،ص 09.

[7] مصطفى دودو :النظام التقليدي لتقسيم مياه السيول بوادي ميزاب ، مذكرة لنيل شهادة ليسانس ،معهد الآثار، جامعة الجزائر،2009/2008م،ص21 .

أما عن الإنجازات الهندسية التي باشر الشيخ حمو والحاج في تحقيقها على أرض الواقع بفضل حنكته وتدبيره هادفاً من خلالها تمكين جل بساتين منطقة بوشمجان من الاستغلال الأمثل لمياه الغدير من خلال بناء عدة سواقي و مد أنفاقا ومنافذ ومعابر للمياه وهي كالتالي :

-إنشاءه ساقية بوشمجان مع مراعاة جعلها محاذية للجبل قدر الإمكان حتى يتحكم فيها ،مع اختيار مستوى مجراها متراكبا من المنسكب إلى الكوات التي تنتهي عندها ساقية بوشمجان[1] .

- تفاوضه باسم سكان بوشمجان مع أصحاب ساقية تاكضيت[2] التي كانت ملكا لآل نعاليف[3]من أجل السماح لهم بالاستفادة معهم بنصيب من السيل حيث كانت مياه وادي مزاب تذهب دون استغلال ماعدا التي تتفرع من مجرى الوادي الكبير نحو بساتين" آل النعاليف "، مع العلم أنه كلما غزرت المياه جرفت معها تلك الساقية واتجهت نحو القبلة ضاع كثيرا منها[4] ، وفي هذا الموضوع يشير الشيخ سليمان بومريقة عميد أمناء السيل بقصر غرداية :" أصحاب السيل السابقون إليه (...) القاعدة الفقهية تقول المباح لمن سبق إليه"، وهذه الكلمة معناها :أن الشيء إذا سبق إليه شخص وأخذه منتفعا به ولم تثبت ملكيته لأحد أصبح ملكا لذلك الشخص"[5]، فأجاب آل النعاليف بأن لكم جميع مياهه أن تصرفوها إليكم إلا جزء ضئيلا نشترطه أن تمنحوه إيانا مقدار ثقب صغير ويسمى بالميزابية (آكضي) فقبل ورضي الشيخ حمو والحاج و سكان – بوشمجان—واتفقوا فيما بينهم أن يقودوا الصيد – أي الواد – من أوله وذلك بعد الملتقى[6] ،وألا يتراجعوا عن ذلك ،ولو استأصل السيل أجنتهم كلها ، قد ذكر أيضا الشيخ سليمان بومريقة في هذا الموضوع أنهم كتبوا وثيقة وسجلوها بينهم لكن لم يورد مكان تواجد الوثيقة [7].

---

[1] بشير الحاج موسى :المرجع السابق،ص20.

[2] ثقب كبير نوع ما وصغير منه يسمى تاكضيت.

[3] أنجز سكان آل نعاليف بواحة غرداية أول ساقية من الوادي الى بساتينهم ،وكانت هذه الساقية كثيرا ما تتضرر عند قدوم سيل سيل غزير ،وأما سكان أجنة أحياء بوشمجان والشعبة وباباوعيسى فبقوا محرومين من مياه الوادي ،للمزيد ينظر: نور الدين بوعروة :المرجع السابق ،ص08.

[4] حمو بن زكري :المرجع السابق،ص92.

[5] سليمان بومريقة: تفصيل الجواب عن تقاسيم مياه السيول بوادي ميزاب، غرداية ،1982م.ص 16.

[6] يسمى بالمزابية أملاقا وهومكان التقاء واد لعديرة وواد الأبيض وهما أكبر الوديان المغذية لواد مزاب.

[7] سليمان بومريقة : المرجع السابق، ص 16.

– شرع الشيخ ومساعديه في عملية إنجاز سد لتخفيف سرعة تدفق المياه بعد الملتقى كأول منشأة تقليدية للري[1]،وبعدها قام بتوجيه مياه الملتقى محاصرا إياها نحو الجبل الشرقي من أجنة بوشمجان من جهة ، ومن جهة أخرى قام ببناء جدار حجري مراعيا في ذلك نسبة الانحدار أرضية ساقية بوشمجان بردم المنخفض منها وتسوية المرتفع، وكل ذلك معتمدا على تقنية بسيطة إبداعية محلية وهي عبارة عن قصبة مستقيمة طولها يبلغ أحيانا 10 أمتار توضع على الأرض بين حجرتين صغيرتين في اتجاه مياه الغدير[2]ويقيس مستوى انحدار مياه السيل موجها إياها من مسافة 03 كيلو متر وتنتهي ساقية بوشمجان بكوات[3] أو (تيسنباض) [4]باللغة المحلية .

– كما قام بقسمة هذه المياه التي ساقها الى مشارف أجنة الجهة الشرقية [5]بدقة وعدل من خلال تلك الكوات المصنوعة من حجر طويل ذو وجهين يحدد بها الفتحات الخاصة حسب عدد أجنة ومساحتها في كل جهة من تلك الجهات المقسمة الى أربعة مناطق ثلاثة منها كبيرة وقسم فرعي صغير[6] :

–المنطقة الغربية من الواحة الشرقية :تسقي مياهها ناحية تاكضيت ،والبراكه غربا .

–المنطقة الوسطى :تسقى ناحية حمو عيسى وناحية موش وناحية يحي فرضاس.

–المنطقة الشرقية :تسمى بالشعبة حيث تسقي بساتين الشعبة الى ناحية باباوعيسى .

–القسم الرابع الصغير الذي يسمى بوضريسة التي تسقي بساتين الموجودة تحت مرتفع بوليلة .

قام الشيخ حمو والحاج بتوجيه مياه ساقية بوشمجان الى الأجنة عبر أنفاق طويلة [7]تحت الأرض وفوقها تتكدس أطنان من الرمال وهي تحت أجزاء من حقول بما فيها من نخيل وطرق يمر فوقها الناس بدوابهم وحديثا سياراتهم والسر في بقائها صامدة الى وقتنا هذا تلك بفوهات الموزعة على

---

[1] بكير بوعروة وآخرون :نظام تقسيم السيول في غرداية بوادي مزاب ساقية (بوشمجان أنموذجا)، مقال ، تاريخ النشر2023/04/13م،ص 10.

[2] بومريقة : المرجع السابق،ص05.

[3] أنظر الملحق رقم 16.

[4] E .Felin,etude sur la législation des eaux dans la chebka du mzab ,op.cit,p 36.

[5] أنظر الملحق رقم 12-13

[6] أنظر الملحق رقم 17.

طول تلك الأنفاق حيث تعد مدخل للهواء ورافعة للضغط الشديد التي تسببه مياه السيول حين جريانها كما تستعمل لتنقية الأنفاق والمجاري العميقة[1] تحت الأرض[2].

كام قام أيضا بتحديد نصيب البساتين من مياه السيل حسب مشاركة أصحاب تلك المجموعة من الأجنة (تاجمي) في أعمال بناء المجرى الرئيسي الذي تصب فيه مياه تلك الجهة ،فالمدة الزمنية التي شارك فيها هؤلاء في العمل تقدر لهم عدد أسهمهم ويكون ذلك من مجموع أيام العمل وعدد المشاركين ولتحويل السهم الواحد الى وحدة طول معينة تتبع فيه الخطوات التالية :

عرض المجرى الرئيسي يقسم على عدد أسهم الناس المشاركون في العمل فإذا كان عرض مجرى السيل يساوي 240 سم وعدد الأسهم 120سهم فطول السهم الواحد يكون يساوي 240سم/120سهم : 2سم ، ولإيجاد عرض كوة البستان[3] نضرب طول السهم الواحد في عدد أسهم أصحاب (تاجمي)[4].

أما حينما تصل مياه السيول الى مشارف الجنان الواحد تستقبلها كوة صغيرة يقدر عرضها بعدد نخيلها دون الأشجار ويقاس ذلك بنوى التمر من نوع (أكربوش) ، والعلة في ذلك أن هذه الأنواء في الغالب تكون متساوية الحجم والمقياس ويرتبونها واحدة بجانب الأخرى كالأصابع بحيث تقسم بها الكوات ،وأما طول الكوة فهو يقدر على حسب مساحة الجنان وعند فتحة كل كوة هناك عقبة صغيرة على عرض الطريق توجه الماء الى داخل الكوة [5].

ومن أهم إنجازات الشيخ حمو والحاج أيضا بدايته انشاء سد (بوشن) محاديا لساقية بوشمجان من الناحية الغربية ،حيث تم استغلال الفراغ الكبير الموجود بين ساقية تاكضيت وساقية بوشمجان لصرف فائض مياه ساقية بوشمجان عن طريق كوات مرتفعة على الضفة الغربية من الساقية و كذا استيعاب الكم الزائد القادم من منطقة الملتقى مباشرة وهو خزان مهم لتزويد الطبقات الجوفية ، وحينما يفيض سد بوشن ،فإن المياه تنسكب عبر كوات خاصة فتصب بمجرى بوادي مزاب الذي

[1] أنظر الملحق رقم 14.

[2] بكير بوعروة وآخرون :المرجع السابق ، ص12.

[3] أنظر الملحق رقم 15.

[4] سليمان بومريقة: المرجع السابق،ص19.

بدوره تم حفر مجموعة آبار على طول المجرى لتخزين أكبر كمية من مياه السيول التي تفيض عن حاجة البساتين [1].

من خلال عرضنا لمجمل ما قام به الشيخ حمو والحاج في تطويره لنظام تقاسيم المياه الذي يعتبر امتداد لمن سبقه ممن فكروا في طرق بسيطة لاستغلال المياه ، نخلص إلى أن اللمسة العبقرية الخالدة[2] التي أحدثها الشيخ حمو والحاج في هذا المجال تعتمد على أربعة معايير رئيسية :1- جلب المياه من مصادرها وسواقيها الطبيعية 2- الحفاظ عليها من الضياع3- صرفها و توزيعها بطريقة عادلة على البساتين 4- دفع الخطر الذي قد تتسبب فيها غزارة التدفق .

لضمان استمرارية هذا النظام انشأت هيئة تنفيذية متخصصة تسمى أمناء السيل أو باللغة المحلية (لاومنا) و إن أقدم وثيقة توصلنا إليها ورد فيها ذكر هيئة الأمناء تعود الى سنة 1156هـ/1743م و تحوي الوثيقة ما أقره مجلس وادي مزاب في موضوع الرقابة و الإشراف على مياه السيول جاء فيها مايلي :" واتفقوا على ماء المطر فإن له أمناء لكل حومة يحرصها [كذا]في وقت الماء ومن تعدّ على ماء المطر فإنّه يجري عليه ما جرى على السارق"[3] فتلك سرقة المتاع و هذه سرقة الماء ،فعليهما الحكم نفس، وهذه الوثيقة خطت بعد27سنة من وفاة الشيخ حمو والحاج قد يكون ذلك تاريخ تأسيس الهيئة و قد يكون تأسيسها في حياة الشيخ حمو والحاج نفسه وليس بعيدًا عن إسهاماته التنظيمية التي باشرها ، أو بعد وفاته بقليل، فالهيئة إذا قديمة النشأة أعضاؤها يعينون من طرف مجلس حلقة العزابة معظمهم رجال كبار السن متطوعون ذوي خبرة وتجربة في تقلبات الجو و ما تعلق بذلك وكذا في مجال الري ،يتميزون بالورع و التضحية في خدمة المجتمع [4].

استمر عمل الهيئة بكل نشاط و تطور عبر القرون لتصل الى حاضرنا بالشكل الذي ذكرته المصادر و اقرته الشخصيات الفاعلة في المجال الى يومنا هذا و من مهامها ما يلي :

---

[1] جاء بعد الشيخ حمو والحاج ، الشيخ حمو عمي سعيد الذي قام بحفر ابار عميقة وسط سد بوشن لتخزين المياه و صرفها آليا وقت الحاجة عن طريق خاصية النفاذ لتزود ابار البساتين :للمزيد ينظر : شريط مسجل: نظام تقاسيم المياه بواحات تغردايت، إضاءات 04 ، مؤسسة الضياء،2017م .

[2] Claude Pavard ,op.cit,p69.

[3] جمعية أبي إسحاق اطفيش لخدمة التراث، علبة أرشيف بها مجموعة نصوص اتفاقات ،الوثيقة رقم:32

[4] سليمان بومريقة : المرجع السابق ، ص19.

-إعلان حالة الطوارئ في حال قدوم سيل جارف وقوي عبر طلقات بارود لتنبيه الناس .

- تنظيم أوقات استغلال مياه الآبار العمومية في أوقات الجفاف (تيرميزي) والإشراف على حفرها وصيانتها .

- مراقبة تقسيم المياه تقسيما عادلا كي لا يقع ظلم أو إجحاف والسهر على تطبيق ما تم الاتفاق

عليه كتغريم ومعاقبة من يتعدى على حق غيره بسد مصرف أو توسيعه[1].

- تتبع وتنقية مجاري السواقي وتصفية الكوات مما قد يعلق بها من أغصان .

-بناء وإصلاح السواقي في حال تهدمها أو ردمها بالطمي و الأوحال .

-الحرص على احترام الاتفاقيات بين الناس وبين القصور[2] .

- هنالك قوانين جديدة تضبط يمكن أن تجدد حسب الزمن ومنها : لا يسمح بمرور المركبات في الشوارع التي بها حواجز تنظم السيل [3]، متابعة كل من يقوم بردم بئر أو تحويل مهمته ، و كذا متابعة كل من يقوم بالبناء فوق ازقة الزجر باللغة المحلية (أغلاد أولم) أو كسر حوض ماء أو ساقية لتوسعة غير مشروعة [4].

المبحث الثالث :حضوره في الذاكرة الجماعية بوادي مزاب.

إن تخليد أسماء شخصيات بمناسبات و مآثر وهياكل لدى الأمم والشعوب وخلود ذكرها على الألسن و حضور ها الدائم و القوي في ذاكرة الأمة و رسوخها في نفوس الأجيال المتعاقبة ، لهو أقوى دليل على أن لها شأن ومكانة ،ولها حضور قوي من خلال مآثر تناقلتها الأجيال عبر الرواية الشفوية أو أعمال واقعية ذات بعد حضاري في جانبها الديني و الاجتماعي والاقتصادي ،

[1] نفسه ،ص19.

[2] مصطفى دودو: المرجع السابق، ص ص 21-22.

[3] جابر الحاج سعيد:المرجع السابق، ص ص75-76.

[4] يساعد هيئة الامناء في بعض مهامها حالياً ديوان حماية وادي ميزاب وترقيته .

وهذا ما ينطبق على شخصية هذا البحث الشيخ مُحَمَّد بن ابي القاسم بن يحي ،الذي عرف لدى العام والخاص في المجتمع المزابي بالشيخ حَمُووَالحَاجْ، فلا نجد أحد من سكان قصور وادي مزاب عموماً و قصر غرداية خصوصاً يجهل هذا الاسم ، فإن غابت عنه بعض مآثره فلن يغيب عنه اسمه فقد أطلق اسمه على بعض المؤسسات والتنظيمات الرسمية والعرفية ،منها :مؤسسة التعليم الابتدائي الشيخ حمو والحاج ومحضرة (ساحة) الشيخ حمو والحاج كلاهما بمنطقة الغابة بقصر غرداية، وكذلك فوج الشيخ حمو والحاج للكشافة الإسلامية الجزائرية التابع لمقاطعة افواج الإصلاح الناشط بمنطقة الغابة.

إضافة الى المناسبات التي يهتم ويحرص على إقامتها سكان قصر غرداية تخليدا لمآثر المترجم له ، منها أهازيج شعبية هادفة ، وقد أطلقت تسميته على وجبة شعبية معروفة بالمنطقة (إِوْزَانْ نْدَادِيكْ حَمُو وَلَحَاجْ)، كما يذكر الشيخ حمو والحاج في مناسبة (أَلاَّيْ) ،ومناسبة (زْيَارَتْ) .

وسنفصل في تلك المآثر والمناسبات و نكشف عن أهدافها الدينية و الاجتماعية .

1-الأهازيج الشعبية:

للمطر في المجتمعات الصحراوية عموماً و في وادي مزاب خصوصاً نكهة خاصة و حضور قوي في نفوس الأهالي ، ففي وادي مزاب يسعى الجميع بالاحتفال بالمطر عند قدومه ،فيرافقونها منذ قطراتها الأولى إلى سيلان الأودية وغمرها لأزقة الأجنة و البساتين بصيحات و أهازيج فرحاً بقدومها [1]،وبما تحمله من تباشر خير ، فلا تكاد تمر لحظات سقوط قطرات الغيث الأولى بوادي مزاب إلاّ ويَطرقُ أسماعك أصوات نداءات من هنا وهناك بنبرات جميلة و ألحان خفيفة بأصوات صبية صغار وربما حتى الكبار ، مبشرة و مهللة بهطول المطر وما تحمله من خير للبلاد والعباد و الزرع والضرع ،حيث يُذكر فيها اسم الشيخ حمو والحاج ،فيقال باللغة المزابية :(بِسْمِ الله يَا –اللهُ يَا رَحْمَانْ– يَا رَحِيمْ يَا – اللَّهُمَّ أَرْحَمْنَا – أَدَادِّيكْ حَمُّو وَلَحَاجْ–آيَهَايَهَا–آلَشَّاإِمارو[2] –أَنَّمْلاقَادَا– عَزَّبَاتْ نَانْ –فُونَسَاتْ غْرَسْ – أَرَبِي أَوياَّنَغْدْ إِيقَّنْ أُسُوفْ – العَاطِي ياَ ربِّي– أَمَانْ إِينَفْعَانْ – أُلَسْضُرُّتَنْ).[3] وتعني العبارة : "باسم الله يا الله ارحمنا يارحيم ، يا شيخنا حمو والحاج ،طاعة لأمر

[1] AndréCoyne:op.cit,p22.

[2] في التعبير المشهور (آلَشَّاالوقتو).

[3] مرويات من الذاكرة الجماعية .

العزابة سنلتقي غداً ان شاء الله في نفس المكان، ربنا أغثنا بسيل و بماء نافع غير ضار" ، فهي تردد مراراً وتكراراً و كلما زادت قطرات المطر زادت نبرة صوت المرددين لها.

ويرتبط ذلك كله بمقصد نبيل و عبرة ملهمة عن قصة وقعت أحداثها في عهد الشيخ حمو والحاج أي حينما كان شيخا للبلدة وتناقلتها الروايات عبر الأجيال ، لتستقر في أعماق الذاكرة الجماعية، حينما مر وادي مزاب بفترة عصيبة أصابها قحط وسنين عجاف هددت حياة الناس ،فاستبطأ الناس نزول المطر فتساءلوا عن السبب، فلم يكن منهم سوى استشارة شيخ البلد لورعه و علمه و تقواه ، طالبين منه الدعاء و التضرع لله تعالى ليغيثهم ، بعد أداء صلاة الاستسقاء. فلم يتردد الشيخ حمو والحاج في إجابتهم قائلاً لهم: سنقيم صلاة استسقاء طلباً من الله الغيث ، لكن سيكون ذلك ان شاء الله غداً في نفس هذا المكان [1]، بعدما يسعى كل حاضر و غائب إلى أخيه المسلم فيرد مظلمته و يطلب منه العفو والمسامحة إن أساء إليه يوماً . فانفض الجمع و تفرق الناس ملبين شرط شيخهم ، وفي اليوم الموالي و في نفس الوقت التقت جموع المسلمين عند شيخهم بعد أداء ما عليهم ، و أقيمت صلاة الاستسقاء وماكاد الشيخ ينهي دعواته وتضرعاته حتى بدأت السماء تقطر ثم انهمرت الأمطار وسالت الأودية و ملأت الأجنة والآبار و السدود بمياه طال انتظارها وغمرت الفرحة النفوس[2] ،وما تزال تلك القصة تردد وتلك العبارات المصاحبة لهطول المطر تلحن إلى يومنا هذا.

بغض النظر عن مضمون تلك القصة التي يمكن إدراجها في سياق الكرامات التي عرفت بها بعض الشخصيات لمكانتها الدينية والاجتماعية ولم يخلوا منها زمان ولا مكان و خاصة في تلك المراحل من التاريخ الإسلامي، فهي قصة تعبر بصدق عن واقع وادي مزاب، وعن مدى صعوبة المهمة التي تصدى لها الشيخ حمو والحاج وهو مدرك جيداً دوره الاجتماعي في إصلاح الأوضاع ونشر العلم وتفقيه الناس في أمورهم الدينية و تهذيب السلوك الاجتماعي من علاقات و روابط و تعاملات ، مستغلاً تلك الفرصة وهي طلبهم الغيث ليقدم لهم درساً عملياً .

[1] تذكر الروايات ان ذلك المكان هو محضرة الشيخ حمو والحاج بأجنة غرداية ،للمزيد ينظر :الملحق رقم 8 -9 .

[2] مرويات شفوية من الذاكرة الحية .

فتلك قصة قصيرة في مبناها، و تلك العبارات بسيطة في لحنها و محتواها ،لكنها تحمل الكثير من المعاني الطاعة لله أولاً و الخضوع لأمره ثم التزام بتوجيهات أولي الأمر من مشايخ و هيئة العزابة ثانياً[1].

2–مناسبة مأدبة (إوزان ن داديك حمو ولحاج):

هي مناسبة خاصة تقام بواحات قصر غرداية ،يولي لها السكان أهمية خاصة لما تحمله من معاني ذات أبعاد اقتصادية و اجتماعية فهي تعبر عن نهاية موسم حصاد وجني الغلل خاصة التمور، تكون عادة يوم الاثنين من الأسبوع الأخير لموسم الخريف أي قبل إقامة ختمة– القرآن– بمناسبة (أَلَّايْ) التي سنتطرق إليها لاحقا ، ماتزال الأسر مستقرة في مساكنها الصيفية بالواحة ، وكل مجموعة من تلك المساكن القريبة تلتقي عائلاتها في الباحة المشتركة أوما يسمى باللغة المزابية (تاجمي) ،تتجمع الأسر وتُحضر معها ما يلزم من مواد غذائية معروفة النوعية و هذه الطريقة تسمى ب (أَنْفَاشْ) فيتعاون الجميع على طبخ هذه الوجبة التي تسمى محلياً (إوْزَانْ– نْ– داديك حمو والحاج)[2] ،تطبخ تقليدياً إلى يومنا هذا على نار الحطب ،يتخللها مجالس تلاوة القرآن الكريم و موعظة نافعة ثم يلقي أحدهم ما تجود به قريحته من حكم و قصص تفيد الحاضرين صغاراً وكباراً ،ويختم هذا اللقاء بالدعاء الخالص لله تعالى ثم يتسامح ويتغافر الجميع إن كانت بينهم مظلمة خلال فصل الصيف ،ثم توزع الصدقات على من حضر أو ترسل لمن حبسه عذر .هذا في الجانب النسوي من المجتمع ،أما الرجال فبدورهم يحضرون هذه الوجبة في ساحة محضرة الشيخ حمو والحاج وتؤكل جماعيا ،إن ضبط توقيت هذه المناسبة له دلالات اجتماعية وأخلاقية أبرزها غرس قيم التصالح والتسامح بين الأهالي عموما و بين الفلاحين خصوصاً التزاماً بوصية الشيخ حمو والحاج ، ليعود الجميع فرحًا الى القصر[3]حيث المسكن الشتوي هناك .و لانتقال سكان الواحة الى القصر مهرجانه الخاص و تقاليده المميزة ، وهي عادة تلي مناسبة وجبة (إوزان)[4]و هي مناسبة تدعى محلياً

---

[1] مُحَمَّد حفار: تاونزان ن تاسلت ،مطبعة الأفاق ،غرداية – الجزائر،2017م،ص54.

[2] تعريف إوزان : يحضر من الدقيق لفريك يعد أفضل طعام أنفاشات ويؤكل جماعة ، للمزيد أنظر: الملحق رقم 18.

[3] جابر الحاج سعيد : المرجع السابق ،ص 184.

[4] تقام هذه المناسبة في برنامج محكم تحت إشراف حلقة العزابة، حيث يبدأ هذا الأخير من ليلة الجمعة حيث يكون في مساجد الواحة تفريق القرآن الكريم وقراءته ما بين المغرب والعشاء ثم بعد صلاة العشاء يتم ختمه مع توزيع المعاريف " من خبز وتمر وكسكس ولحم"، وفي أمسية الغد من يوم الجمعة يلبس الأولاد والبنات الصغار اللباس التقليدي بالمناسبة ومن ثم النزوح إلى القصر العتيق.

بـ (أَلاَّيْ) و معناها اللغوي الصعود و الارتقاء و التسلق و حينما نأتي إلى طبيعة هذه الحركة التي يقوم بها السكان من انتقالهم من الواحة الى القصر فنجد أنهم ينتقلون من أرض منبسطة حيث الجنان و البساتين بالواحة قاصدينً هضبة قصر غرداية المعروفة شكلها ،و مناسبة الآيْ تكون قديما يوم الجمعة ليلا- بعد مناسبة (ايوزان— ن- الشيخ حمو والحاج) التي تقام يوم الاثنين من ذلك الأسبوع – حيث يتهيأ الجميع فيجمعون أغراضهم ثم يُلبس الصغار من بنين و بنات مما نسجته أنامل أمهاتهم من ألبسة صوفية يحتاج إليها في فصل الخريف والشتاء،[1]ثم يتقدم الركب النساء والصبيان و كبار السن أما الباقي فهم على جانبي القافلة وخلفها حارسين لها .

3-الشيخ حمو والحاج في مناسبة الزيارة :

من المناسبات الهامة التي يحرص المزابيون على إحيائها سنوياً بجميع قصور غرداية و وارجلان ، و بقصر غرداية ،تقام هذه المناسبة في فصل الربيع و تسمى (أَسَاحِي)أو (زْيَارَتْ) الزيارة ،تطبيقا لقوله تعالى :﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ۚ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[2]، و هي عبارة عن مسيرة على الأقدام يحشد لها جميع الرجال و الشباب و الصبيان ، يتجمع الحاضرون بثيابهم الأبيض حاملين ما تيسر من الصدقات خاصة التمر والحليب ، ويتقدم المسيرة هيئة العزابة و إروان ، و باقي الهيئات الفاعلة المنظمين للمسيرة.

المسيرة تتنقل عبر معالم المدينة من مقابر وأضرحة و مصليات وغيرها ، ففي كل محطة يتوقف المسير فيشرع أحد العزابة العارفين العالمين بتاريخ المدينة و معالمها في سرد التفاصيل التاريخية أسلوب واضح ولغة بسيطة ، وما إن ينتهي الشيخ من سرده حتى يشرع في السير إلى أخرى، مرددا مهللاً داعياً الله بقوله " باسم الله يا الله يا رحمان يا رحيم يا اللهم ارحمنا " فتردد الجموع خلفه[3]، إلى أن يصل المحطة الموالية ، وهكذا إلى تمام أخر محطة في المسيرة ، وتدوم المسيرة حوالي خمس ساعات من الزمن في مسافة تقدر بحوالي8 كلم ، انطلاقا من مقبرة الشيخ عمي سعيد ثم الرجوع إلى مقربة تلك المقبرة بمكان يسمى ساحة سالم و عيسى ، حينها يكون التوقيت زوالاً فتوزع الصدقات ويتناول التمر والحليب ويتفرق الجمع ،بعد صلاة العصر يكون هناك برنامج قرآني مسائي في مقبرة التي كان منها الانطلاق وهي مقبرة الشيخ عمي سعيد حيث يبرمج لقاء تكريمي

[1] جابر الحاج سعيد: المرجع السابق ،ص .184.

[3] سورة العنكبوت، الآية 20 .

[3] جابر الحاج سعيد: المرجع السابق، ص185.

للصغار الذين وصلوا إلى سورة الملك والعبرة في جلوسهم بين الكبار وفي مجلس لتلاوة جماعية من سورة الملك إلى الخاتمة ،فيوزع عليهم اللحم بعد تناول الطعام (الكسكس) من الصدقات ،تشجيعا لهم للاهتمام وللالتحاق بمجالس التلاوة وختم القرآن الكريم بعدها يفترق الجميع في أعظم مظاهر الفرح والحبور[1].

وخلال هذه الزيارة يتم تعريف الناس بتاريخ كل محطة و مناقب الشخصيات الفاعلة في المجتمع ممن شهد لهم بالفضل في العلم او بعمارة البلد والدفاع عنها، وهي فرصة لتلقين الصبيان و الشباب أخبار وروايات المشايخ والأولياء للعبرة والذكرى إضافة لتوعيتهم بأهمية تاريخهم من خلال عرض واقعي مفتوح على الهواء مباشرة وتزرع فيهم روح الهوية والأصالة ، كما يغتنم الشيخ السارد هذه الفرصة للتذكير ببعض العادات الحسنة ، و التنبيه الى بعض التجاوزات و السلوكات المستهجنة التي طرأت في المجتمع ،وهو العيد الوحيد الذي يحتفل بإقامته المزابيون من غير المناسبات الدينية والوطنية المعروفة في الجزائر[2].

ومن بين تلك الشخصيات التي تذكر في مناسبة الزيارة الشيخ حمو والحاج حيث تبرز شخصيته من خلال أعماله و مآثره و يركز أكثر على لمسته الإبداعية في نظام تقاسيم المياه.

أهداف هذه المناسبات :

يمكن إجمال الأهداف الدينية والتاريخية والتربوية لهذه المناسبات المتعلقة بالشيخ حمو والحاج وتتمثل في ما يلي:

- جعل القرآن الكريم والسنة النبوية تلاوة وتفسيراً وتذكيراَ وتطبيقاً المحور الأساسي في تنظيم وسير جميع تلك المناسبات.
- ترسيخ مبدأ صلة الأرحام وتبادل الزيارات بين السكان تطبيقا للآية الكريمة في قوله تعالى:﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[3] .
- تفقد أولي الأمر أحوال الرعية و الحث على التكافل و التعاون فيما بينهم .
- جمع الصدقات وتقسيمها على مستحقيها.
- زرع مبدأ التسامح و التغافر ورد المظالم .

---

[1] شريط مسجل: حول موسم الزيارة ،الشيخ حمو عمي سعيد ، موسم الزيارة 1986م.

[2] الحاج أيوب إبراهيم : المرجع السابق ، ،ص ص 143-144-145.

[3] سورةالأنفال الآية 75.

- الدعاء والتضرع لله تعالى وتلقينه على الجموع لحفظها.
- تلقينهم مآثر الرجال وتضحياتهم و التأسي بهم والدعاء لهم .
- السعي لتقوية رابط الانتماء بالأرض و الاعتزاز بها والدفاع عنها.
- الدعوة لحفظ عادات وسير وهيئات المجتمع والتمسك بها .
- التشجيع على طلب العلم النافع[1].
- الاهتمام بالفلاحة زراعة ورعاية وجنياً فهي المصدر الرئيس لحياة السكان ، وتشجيع الفلاحين على التعاون بينهم فيما يسمى بـ (تويزة).
- السعي من أجل وحدة الأمة مظهراً ومخبراً.

وفي نهاية هذا الفصل يمكننا استخلاص ما يلي :

-تقلد الشيخ مُحَّد بن أبي القاسم منصب مشيخة الوادي وهذا دليل على شهرته العلمية وقدرته الفكرية بالإضافة إلى حضوره الفعلي الميداني .

-إن قدرته في قراءة الواقع الذي يعيشه و معرفته العميقة للتركيبة الاجتماعية لمجتمعه ،مكنته من التصدي للتهديدات الداخلية و الخارجية ورسم آفاق أكثر أمناً لمجتمعه ومحيطه.

-كما يمكن أن نقول الشيخ بفراسته و ملاحظاته الدقيقة استطاع أن يضع بصمته الخالدة في نظام بديع وذلك بإيجاد طرق لتقسيم مياه السيل وهو ما مكنه من توفير أهم عنصر للحياة و القضاء على أغلب النزاعات المتعلقة به .

-ما من شك أن الشيخ حمو والحاج هو الشخصية التاريخية بوادي مزاب في الفترة الحديثة التي بقيت ذكراه و ذكره في ألسن الناس صغاراً وكباراً ، غير أن ذلك مقصور في تلك الأهازيج المرافقة لبعض المناسبات أو تلك الوجبات التي تحضر في ذكراه ، لكنه لم يعرف عنه الجانب الآخر والمتمثل في كونه عالماً لامعاً كما ذكرنا سابقاً .

[1] حمو بن باباوموسى : المرجع السابق ،ص107.

الخـاتمـة :

إن البحث في حياة شخصيات أثبتت وجودها بآثارها المادية و اللاّمادية عبر الأجيال لهو تنقيب في عمق ذاكرة الأمة و الوطن ، ورسم صورة واضحة المعالم لمثل هذه الشخصيات هو وضع المجتمع في إطاره الفكري و القيمي و الحضاري عموماً ، من هذا المنطلق حاولنا في هذا البحث التعريف بشخصية عالم من علماء الجزائر في الفترة الحديثة وهو الشيخ مُحَّد بن ابي القاسم بن يحي المصعبي ، تناولنا في البحث جانب النشأة و التكوين العلمي و تعرفنا على آثاره العلمية الفكرية ثم المادية ممثلة في تطويره لنظام تقاسيم المياه ، معرجين على التعريف بمهامه الدينية و الاجتماعية ثم في الأخير حضوره في الذاكرة الجماعية للمجتمع المزابي من خلال المناسبات التي تقام الى يومنا هذا.

بعد إتمامنا لعرض محاور الفصول الثلاثة للبحث خلصنا إلى النتائج الآتية :

-للبيئة الطبيعية دور في نشأة الأفراد وتكوينهم الفكري من خلال ما تفرضه عليهم من تحديات تدفعهم لإيجاد سبل لمواجهتها.

-ساهم التنظيم الديني و الاجتماعي بوادي مزاب ممثلا خاصة في هيئة حلقة العزابة في الحفاظ على الطابع الديني للمجتمع، مما أنتج علماء ومشايخ في مختلف العصور من بينهم شخصية البحث.

-لمكانة الوالدين دوراً أساسياً في نشأة الأبناء وتكوينهم المعرفي و السلوكي و هذا ما لاحظناه في علاقة الأب أبو القاسم بابنه مُحَّد.

-حينما تتعدد مصادر المعرفة أمام طالبها فإنه لا يكتفي بما يمليه عليه شيخه الأقرب إليه ،بل يبادر إلى ربط علاقات علمية بعلماء خارج دائرة بيئته الضيقة ، فهو بذلك يسهم في تطوير قدراته و فتح آفاق معرفية أوسع و هذا ما لاحظناه في شخصية المترجم له رغم صعوبة ظروف التواصل آنذاك .

-إن فرضية تأثير الآباء على الأبناء التي بينها قد تحققت كذلك من خلال ما ترك الشيخ مُحَّد بن ابي القاسم من تأثير علمي في أبنائه ونسله من بعده ، الذين أصبح بعضهم علماء و مشايخ .

-مما امتاز به الشيخ مُحَّد بن أبي القاسم انفتاحه على غير أبناء الإباضية بفتح حلقاته العلمية لبعض طلبة العلم من المالكية .

-اهتم الشيخ مُحَمَّد بن أبي القاسم بأغلب علوم النقل وبعض من علوم العقل و قد اهتم أكثر بعلوم الشريعة لما تمليه عليه وظيفته الدينية و الاجتماعية.

-يعتبر الشيخ مرجعا في الفقه و الفتوى خاصة عند أهل وادي مزاب، وكذلك خارجها والدليل هو تلك المراسلات المتبادلة بين جربة و عمان من جهة و الشيخ مُحَمَّد بن ابي القاسم وهي مراسلات لا تخلوا عادة من الإشارة إلى بعض المسائل والنوازل الفقه .

-اعتمد الشيخ مُحَمَّد بن أبي القاسم في كتاباته أدباً راقياً و لغة سليمة واضحة وهذا من خلال ما وضحناه من آثاره سواء في النثر او في الشعر فهو بذلك نعتبره أديباً لامعاً رغم انه لم يخلف في ما اطلعنا عليه آثاراً ذات شأن في اللغة و الآداب.

-بالإضافة إلى سعة اطلاعه في علوم الفلك والميقات و علوم الإنسان التي تظهر من خلال قصيدته في" أطوار خلق الإنسان" .

- كان الشيخ مُحَمَّد ناسخاً بارعاً واضح الخط ويثبت ذلك ملاحظات المفهرسين و كذلك ما اطلعنا عليه من منسوخاته ، كما تميز بسعيه لإكمال النسخ الهامة من المؤلفات المبتورة بإعادة نسخ أوراقها من نسخ أخرى كاملة وترميم المخطوطة التي أصابها تلف ، ليبعث الروح فيها من جديد .

- تمكن الشيخ من الوصول إلى منصب مشيخة وادي مزاب ، وهذا دليل على مكانته العلمية و قدرته الفكرية ، و اطلاعه الواسع على التحديات الاجتماعية و متطلباتها ، بالإضافة إلى حضوره الفعلي الميداني القوي ، فالسر في جمعه وتوفيقه بين العمل الفكري و العمل الاجتماعي ، يكمن في اعتقاده الراسخ أن الإسلام قولاً وعملاً فلا يمن التفريق بينهما .

-إن قدرته في قراءة الواقع الذي يعيشه و معرفته العميقة للتركيبة الاجتماعية لمجتمعه ، مكنته من التصدي للتهديدات الداخلية و الخارجية ورسم آفاق أكثر أمناً لمجتمعه ومحيطه.

-كما يمكن ان نقول أن الشيخ بفراسته و ملاحظاته الدقيقة استطاع أن يضع بصمته الخالدة في نظام بديع وذلك بإيجاد طرق لتقسيم مياه السيل وهو ما مكنه من توفير أهم عنصر للحياة و القضاء على أغلب النزاعات المتعلقة به.

-ما من شك أن الشيخ حمو والحاج هو الشخصية التاريخية بقصر غرداية في الفترة الحديثة التي بقيت ذكراه و ذكره شاهداً على ألسن الناس صغاراً وكباراً ، غير أن ذلك مقصور في تلك الأهازيج المرافقة لبعض المناسبات أو تلك الوجبات التي تحضر في ذكراه ، لكنه لم يعرف عنه الجانب الآخر والمتمثل في كونه عالماً لامعاً كما ذكرنا سابقاً .

ختاماً من خلال نتائج هذا البحث نحاول عرض جملة مقترحات وتوصيات تتعلق به وهي :

-إن البحث الذي قمنا به يعتبر بداية لأعمال أخرى تحتاج مزيدا من التفصيل و التعمق .

-أهم مادة في بحثنا هي تلك المخطوطات الموزعة في خزائن المكتبات ، فهي مادة خام نأمل أن تلقى يوما ما اهتماما خاصاً من طرف المحققين ودارسين .

-نأمل أن يُهتم أكثر بشخصية الشيخ مُحَّد بن ابي القاسم وذلك بعقد ندوات وملتقيات تاريخية وفكرية للتعريف به و بإنتاجه .

-وبعد التصحيحات والتصويبات نأمل أن يخرج هذا البحث في شكل كتاب مطبوع لينشر على أوسع نطاق ليستفاد من مادته و يحفز الدارسين لخوض غمار البحث فيه.

الملاحق

الملحق رقم 01: موقع ولاية غرداية في خريطة الجزائر ،موقع ويكيبيديا.

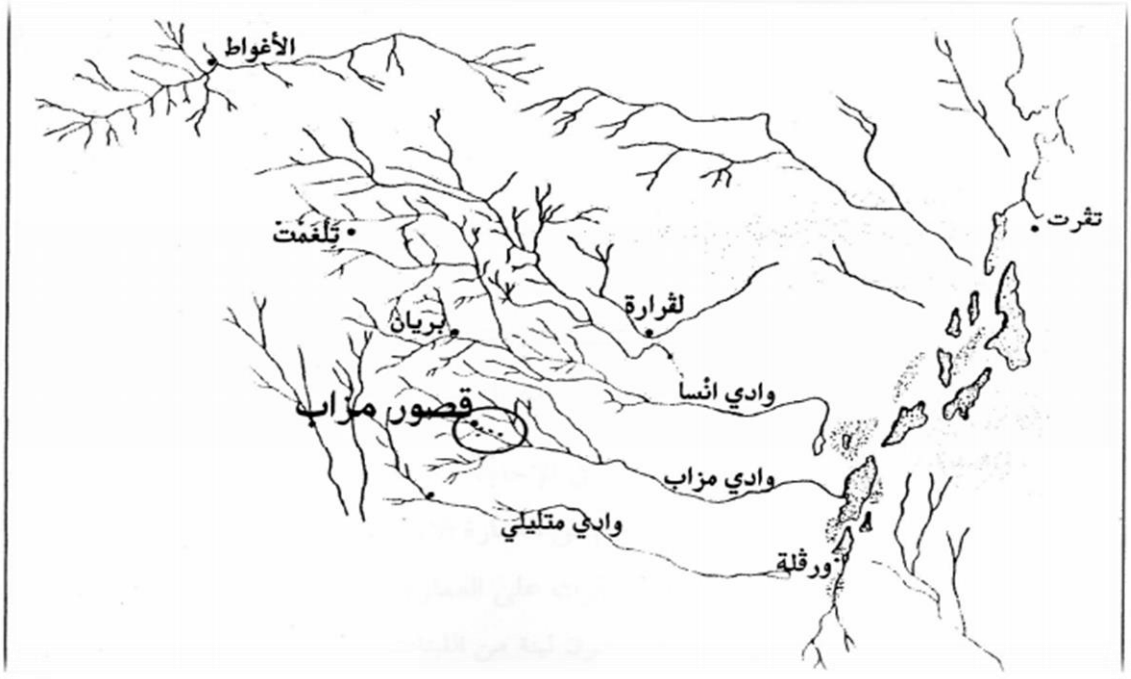

الملحق رقم 02: شبكة مزاب التي تخترقها الأودية.

يحي بوراس: العمارة الدفاعية في منطقة وادي مزاب ،نموذج قصر بني يزقن ،رسالة ماجستير، جامعة الجزائر قسم الآثار ،2001-2000، ص153.

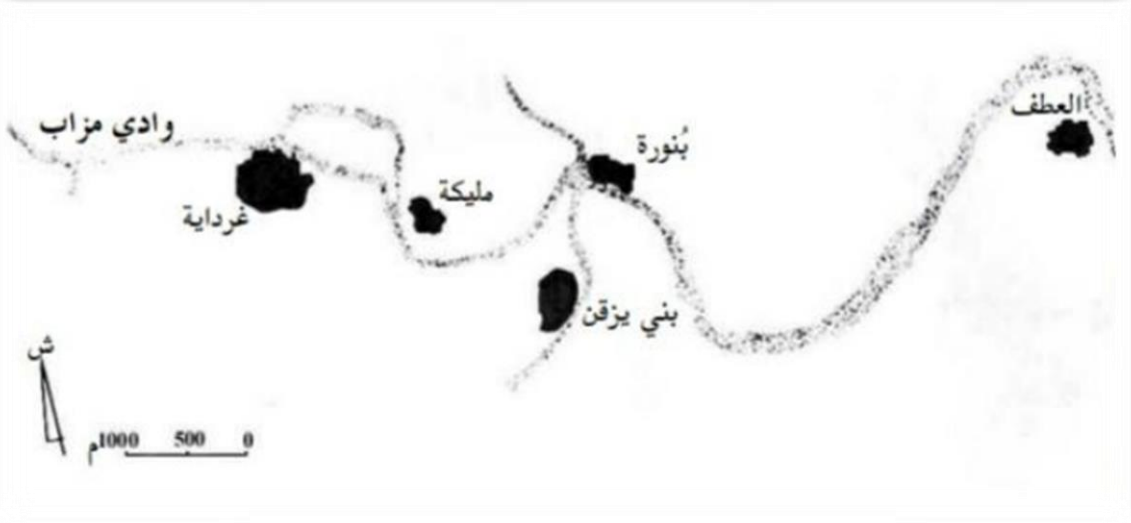

الملحق رقم 03 : مدن وادي مزاب .الخمسة الواقعة على ضفاف وادي مزاب ،يحي بوراس : المرجع السابق ص 154.

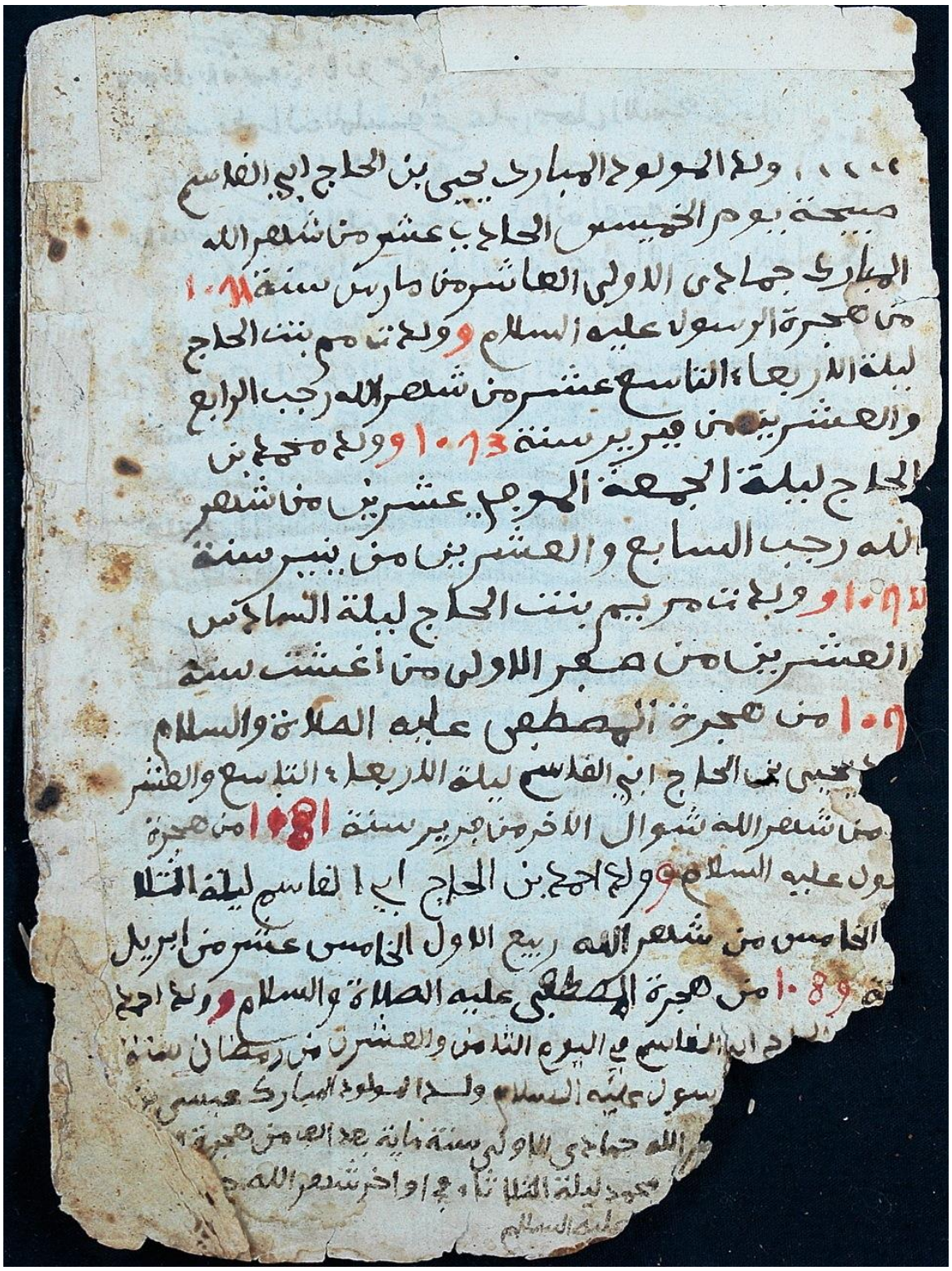

الملحق رقم 04: وثيقة بخط الوالد ابو القاسم بن يحي مخطوطة تدل تقييد تواريخ ازدياد أولاد الشيخ ابي القاسم بن يحي المصعبي "إخوان الشيخ مُحَّد بن أبي القاسم" ،ضمن مجموع يحمل رقم 41 بمكتبة الأستاذ مُحَّد بن أيوب الحاج سعيد يحمل عنوان رقم 95في فهرس مكتبته .

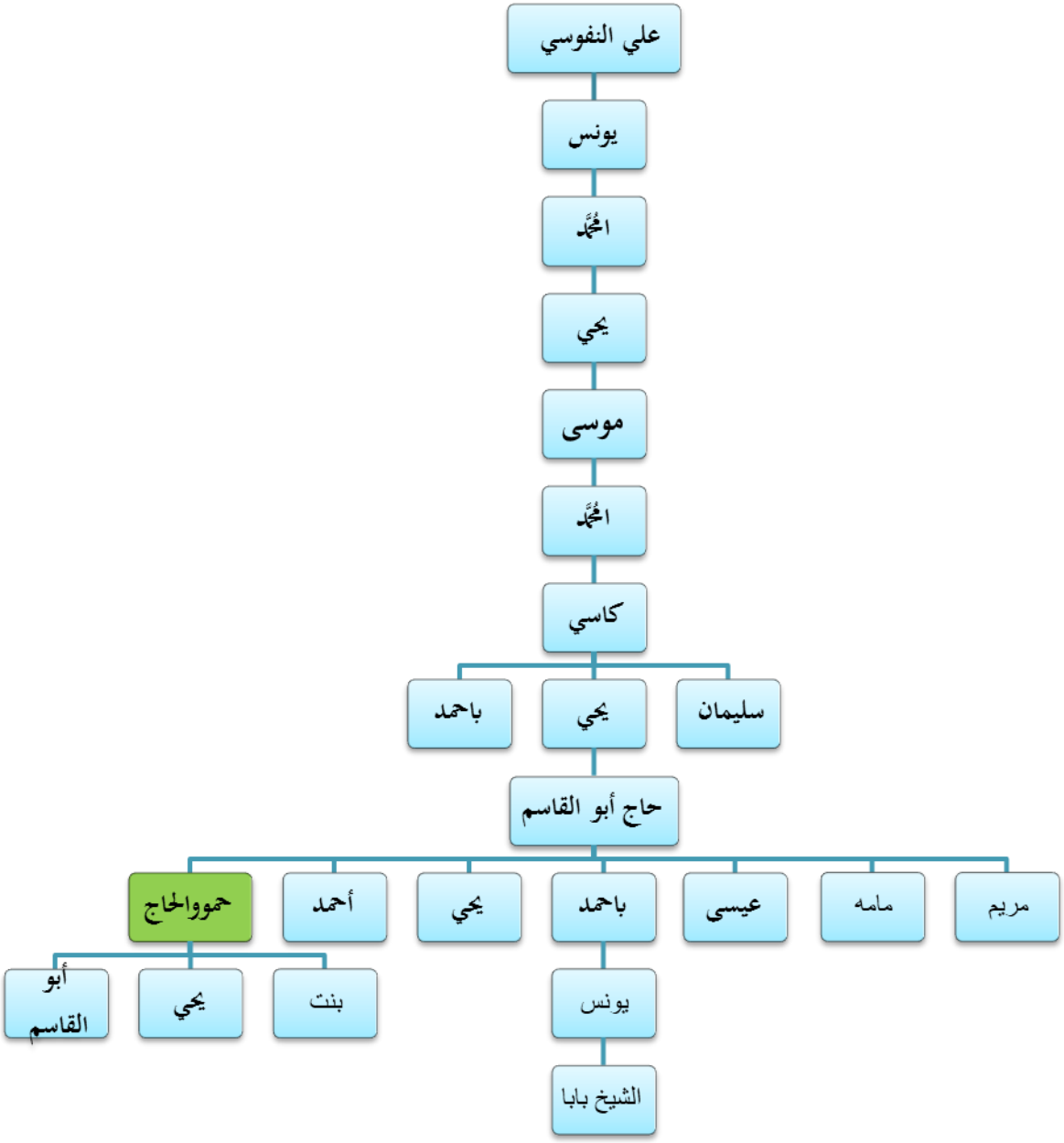

الملحق رقم 05: شجرة نسب الشيخ مُحَّمَّد بن ابي القاسم ،من انجاز الباحث بالتعاون مع عائلة حجاج من عشيرة آت يونس .

الملحق رقم 06: قبر الشيخ مُحَّد بن أبي القاسم بمقبرة الشيخ بابا صالح ،صورة من الباحث.

الملحق رقم 07: منسوخة عن الشيخ مُحَمَّد بن أبي القاسم ، فك لغز في النحو، مؤسسة عمي سعيد : فهرس خزانة العامة ،الرقم في الفهرس: 511.

الملحق رقم 08 و09: مقام الشيخ حمو والحاج ومحضرته بناحية الغابة " تاكضيت" مقابل مسجد الوادي ،موقع مشروع نير لخدمة الحضن الأسري: بعنوان قصة إوزان الشيخ حمو والحاج 12 أكتوبر 2018م.

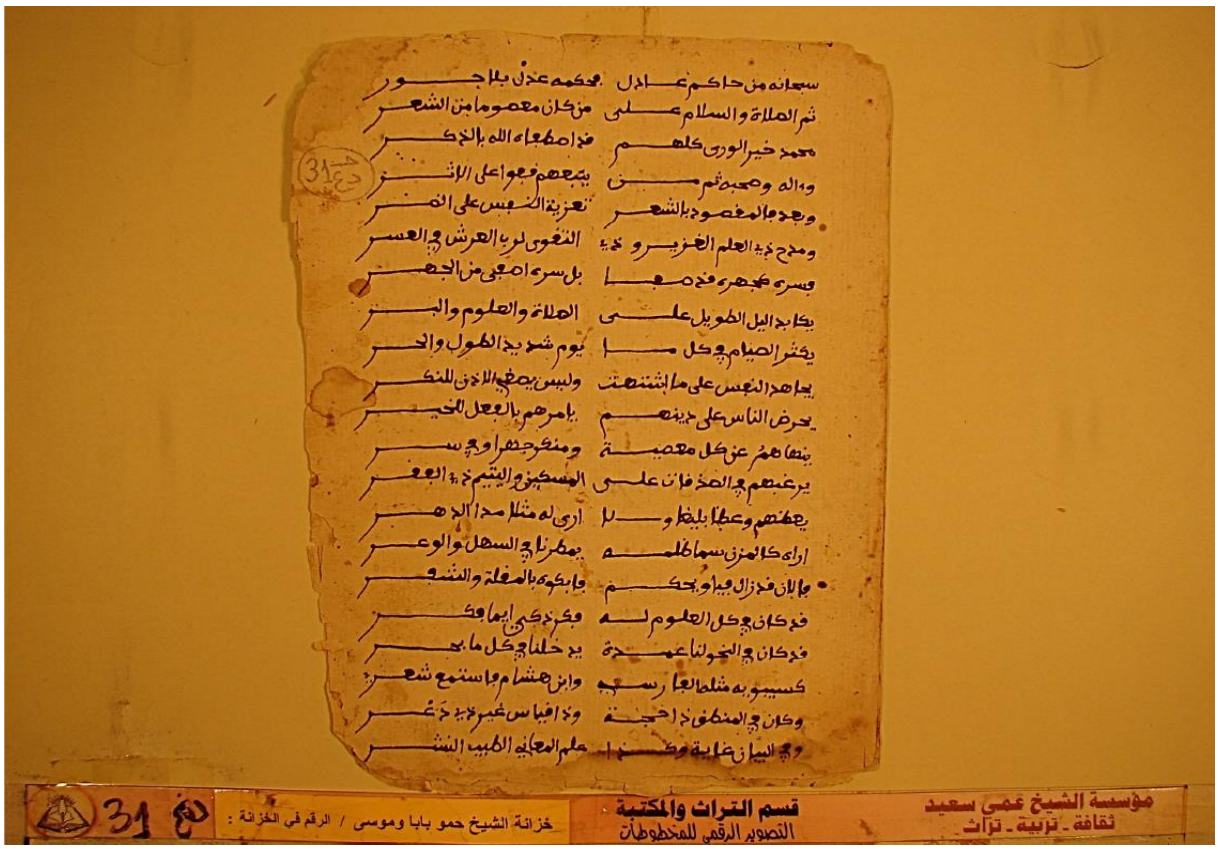

الملحق رقم 10 و11 : مخطوط بخط الشيخ مُحَمَّد بن أبي القاسم في رثاء والده ،مؤسسة عمي سعيد

فهرس خزانة الشيخ حمو بابا وموسى، الرقم في الخزانة دغ 31.

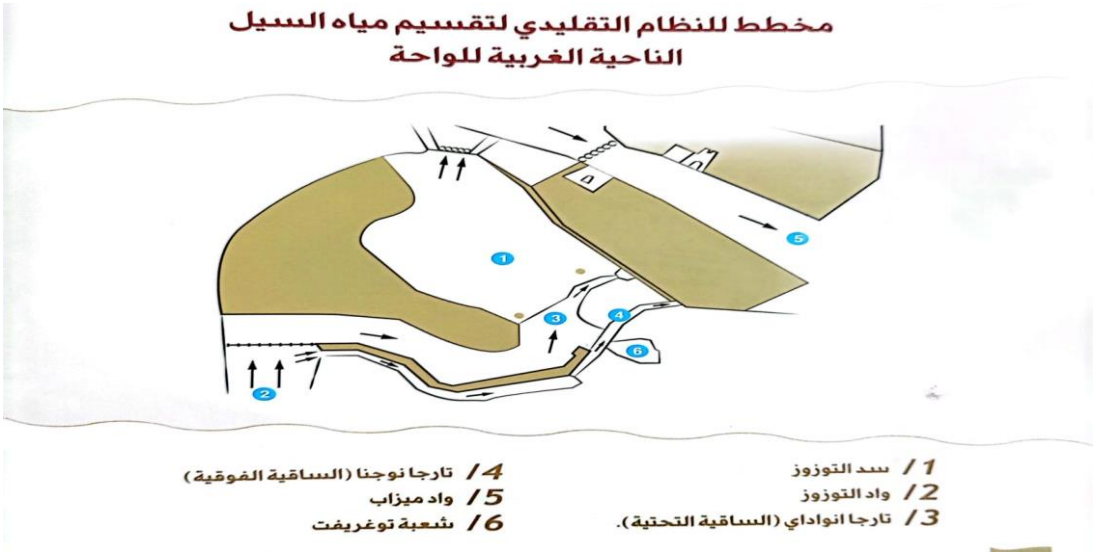

الملحق رقم12-13: مخطط للنظام التقسيم المياه للناحية الشرقية والغربية للواحة، نورالدين بوعروة :نظام تسيير وتقسيم مياه السيل بوادي مزاب ، ص ص25.26.

الملحق رقم 14: المبدأ الأساسي المتبع في نظام الشيخ حمو والحاج تقسيم مياه السيل الناحية الشرقية واحة غرداية كنموذج ،نور الدين بوعروة : ص 10.

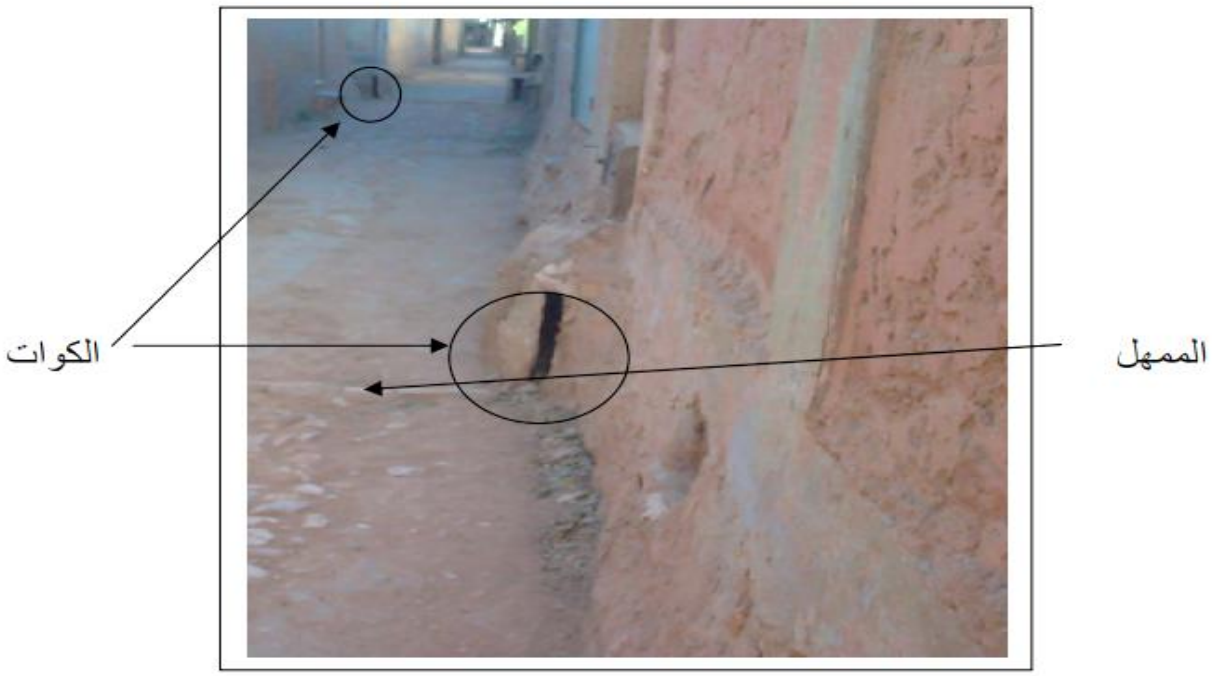

الملحق رقم 15 : الكواة والممهلات التي تدخل المياه السيل الى الأجنة ،مصطفى دودو :النظام التقليدي لتقسيم مياه السيول بوادي ميزاب ، مذكرة لنيل شهادة ليسانس ،معهد الآثار، جامعة الجزائر،2009/2008م.ص87.

الملحق رقم 16 :مصاريف وفتوحات التهوئة بساقية بوشمجان غرداية ،مصطفى وادي دودو : المرجع السابق ،ص 87.

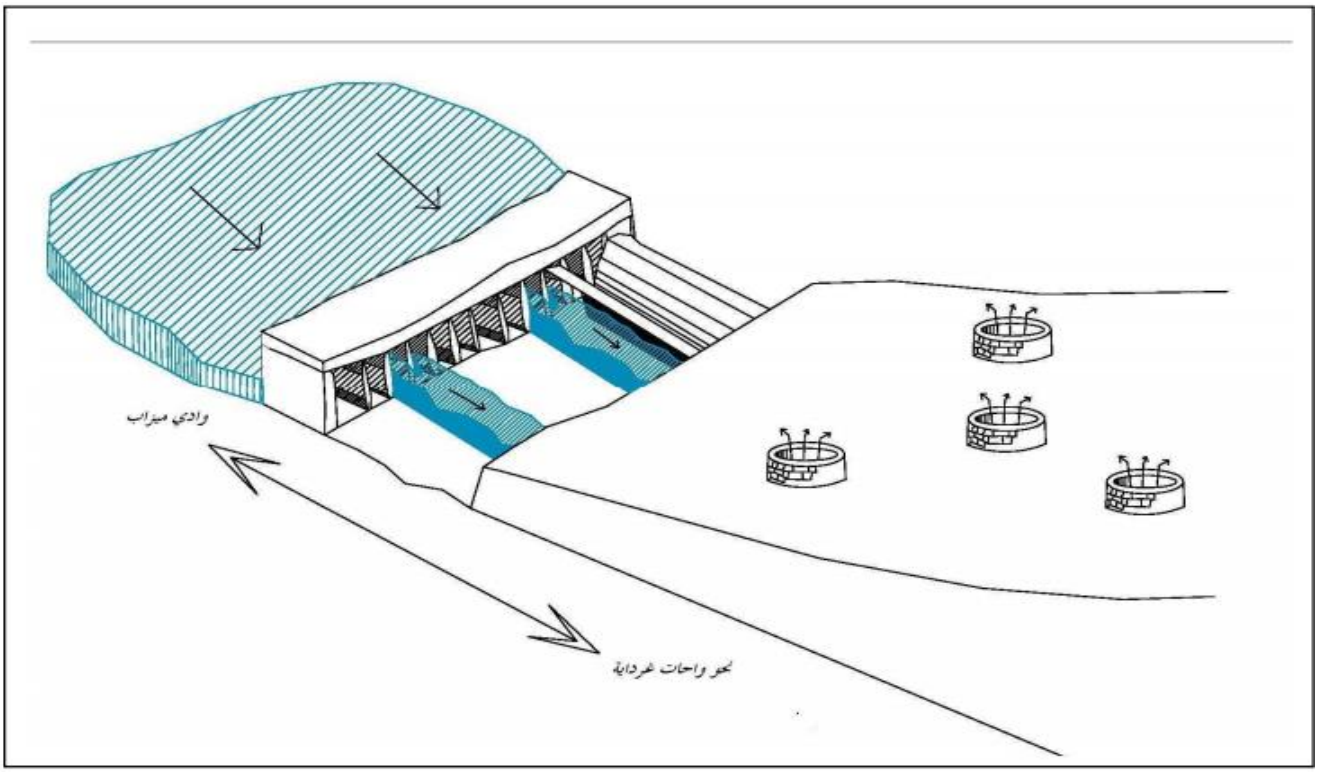

الملحق رقم 17 : مخطط السواقي الأرضية، دودو مصطفى: المرجع السابق،ص88.

الملحق رقم 18: تحضير وجبة إوزان التقليدية ومكونتها .صورة من الأنترنت.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع :

-القرأن الكريم :رواية ورش بن نافع.

1. المخطوط :

- اطفيش امُحَّد بن يوسف: **رسالة شافية في بعض التواريخ** ،مخ، معهد الدراسات الإسلامية ،تحت رقم: A864 R, C831 ، ب.د.ن،د.م.ط.د.ت.

2. فهارس خزائن المخطوطات:

– عمل مؤسسة الشيخ عمي سعيد بغرداية :

-فهرس المخطوطات ، **خزانة الشيخ صالح بن كاسي** ،قسم التراث.

-فهرس محطوطات ،**خزانة مكتبة ج. عيسى بن مُحَّد بومعقل** بوارجلان.

-فهرس مخطوطات ، **خزانة دار التعليم بكير تعزابت.**

-فهرس مخطوطات ،**خزانة البكري** ،صدر في2015م.

-فهرس مخطوطات ، **خزانة آل سكوتي بقصر آت مليشت** ،صدر في 2021م.

-فهرس مخطوطات، **خزانة دار التعليم** ،صدر في2007م.

-فهرس مخطوطات، **خزانة دار التلاميذ (إروان) بجامع غرداية الكبير** ،صدر في 2009م.

-فهرس مخطوطات، **خزانة دار التلاميذ ايروان لمسجد ابي سالم بقصر تجنينت،** صدر في2020م.

-فهرس مخطوطات، **مكتبة الأستاذ سليمان بومعقل** ، صدر في 2015م.

-فهرس مخطوطات ، **الخزانة العامة** ، صدر في 2002م.

-فهرس مخطوطات ، **الخزانتين للشيخين (بنوح بن احمد مصباح و صالح بن حمو بابهون)**،صدر في 2013م.

-فهرس مخطوطات، **خزانة الأستاذ مُحَّد الحاج سعيد** ،صدر في 2005م.

-فهرس مخطوطات، **خزانة الشيخ حمو بابا وموسى** ،صدر في 2003م.

-فهرس مخطوطات، **خزانة القاضي أبي بكر بن مسعود الشهير ب "بابكر"** ،صدر في 2007م.

-عمل جمعية الشيخ أبي إسحاق اطفيش بغرداية :

-فهرس مخطوطات، **الخزانة الثانية لمكتبة معهد الإصلاح** ،صدر في 2021م.

-فهرس مخطوطات، **خزانة الشيخ عمر بن سليمان نوح اليسجني** ،صدر في 2018م.

-فهرس مخطوطات، **خزانة جمعية الشيخ أبي إسحاق إبراهيم اطفيش لخدمة التراث**، صدر في 2018م.

-عمل مكتبة الشيخ صالح لعلي ببني يزقن :

-فهرس مخطوطات، **خزانة الشيخ مُحَّد بن يوسف ببانو** ،ج1،مكتبة الشيخ صالح لعلي، صدر في 2006م.

-عمل عشيرة آت باعُمَّد ببني يزقن:

- فهرس مخطوطات، **خزانة مكتبة الاستقامة (الخزانة الثانية)**،عشيرة أت باعُمَّد ،صدر في 2006م.

3 – المصادر :

- ابو اليقظان إبراهيم :**ملحق سير الشماخي** ،مخ pdf.

- البرادي أبي القاسم: **الجواهر المنتقاة** ،تص و تع :أحمد بن سعود السيابي ،دار الحكمة ،لندن،2014م.PDF.

- الدرجيني ابي العباس: **كتاب طبقات المشايخ بالمغرب** ،تح: إبراهيم طلاي ،ج1،ط2،د ن، د ت ن.

- الوزان حسن :**وصف افريقيا** ،تح :مُحَّد حجي ومُحَّد الأخضر ،ج2،ط2،دار الغرب الإسلامي ،لبنان ،1983م.

- بن أبي بكر أبي زكرياء :**كتاب سير الأئمة وأخبارهم المعروف بتاريخ أبي زكرياء**، تح: إسماعيل العربي ،ط2،دار الغرب الإسلامي ،بيروت-لبنان 1979م.

-عبد الرحمن بن خلدون :**كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر** ، بيت الأفكار الدولية ،عمان-الأردن ،د.ت.

4- المراجع :

- أعوشت بكير :**وادي ميزاب في ظل الحضارة الإسلامية دينيا تاريخيا اجتماعيا** ، المطبعة العربية ،غرداية ،1991م.

- الحاج أيوب إبراهيم: **رسالة في بعض أعراف وعادات وادي مزاب** ،تح: يحي بن بهون حاج امُحَّد ،جمعية النهضة للنشر ،طباعة العالمية ، الطبعة الأولى ،العطف-غرداية –الجزائر،2009م.

- الحاج سعيد جابر :**تاريخ بني مزاب** ،ط1، مطبعة طيف ،غرداية –الجزائر،2016م.

- الحاج موسى بشير ،**الشيخ سعيد بن علي بن يحي الخيري الجربي الشهير بالشيخ عمي سعيد (ت.927هـ/1521م)حياته ودوره في نهضة وادي ميزاب** ،مؤسسة الشيخ عمي سعيد ،ط2، 1427هـ/2006م.

- الحاج موسى بشير : **نحو دراسة حياة وآثار الشيخ مُحَّد بن ابي القاسم بن يحي المصعبي الغرداوي**،1996م.

- الشيخ بلحاج قاسم :**معالم النهضة الإصلاحية عند اباضية الجزائر** ،ط1،جمعية التراث القرارة ،المطبعة العربية، غرداية–الجزائر،2011م.

- الشيخ بلحاج قاسم :**موجز تاريخ وادي مزاب أثناء الحكم العثماني والاستعمار الفرنسي**، العالمية للطباعة والخدمات، تيبازة الجزائر، 2017م.

- المدني أحمد توفيق:**مُحَّد عثمان باشا سيرته وحروبه، نظام الدولة و الحياة العامة في عهده**، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر،1986م.

- الميلي مبارك :**تاريخ الجزائر في القديم والحديث**،ج2،المؤسسة الوطنية للكتاب ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت– لبنان، د.ت.

- النوري حمو عيسى مُحَّد :**دور المزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا 1505–1962**،دار الكراون،باريس،1984م.

- اويابه الناصر: **الرد على المازوني للشيخ حمو والحاج**، منشورات مكتبة المسجد العتيق بقصر غرداية ، ط1، 2016م .

- باباوموسى حمو :**موسم الزيارة بوادي مزاب –بلدة تغردايت نموذجا** ،تح: الشيخ موسى بن الحاج إبراهيم قزريط ،ط1، 2021م.

-بن يحي مُحَّد :**العمارة الميزابية وضوابطها العرفية، مدينة آت يسجن أنموذجا** ،ط1،مطبعة بصمة ،بني يزقن-غرداية –الجزائر ،2021م.

- بن يعقوب سالم: **تاريخ جزيرة جربة ومدارسها العلمية** ،إعداد :فرحات الجعبيري، سراس للنشر ،تونس ،2006م.

- بوعروة نور الدين : **نظام تسير وتقسيم مياه السيل بوادي مزاب** ،ديوان حماية وادي مزاب.

-- الحاج سعيد يوسف :**تاريخ بني مزاب دراسة اجتماعية واقتصادية** ،المطبعة العربية ،ط3،غرداية ،2017م.

-بومريقة سليمان: **تفصيل الجواب عن تقاسيم مياه السيول بوادي ميزاب**، غرداية ،1982م.

- الجيلالي عبد الرحمن: **تاريخ الجزائر العام** ، ج1، ط2،مكتبة الحياة ،بيروت-لبنان ،1965م.

- حفار مُحَّد : **تاونزان ن تاسلت** ،مطبعة الأفاق ،غرداية – الجزائر ،2017م.

-حواش عمر: **لغدير بحث حول تنظيم مياه السيول بوادي مزاب** ،كتاب لشعبة العلوم الطبيعية والحياة للسنة الثانية ثانوي ،1413-1414هـ/ 1993-1992م.

- دبوز مُحَّد علي :**تاريخ المغرب الكبير**، ج1،ط1،مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه ،القاهرة-مصر، 1964م.

- دبوز مُحَّد علي: **نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة** ،ج1،ط1،المطبعة التعاونية ،الجزائر،1965م

- سعد الله أبو القاسم: **تاريخ الجزائر الثقافي** ، (**1830-1954**)، ج3، دار الغرب الاسلامي ، بيروت- لبنان، 1998م.

- طلاي إبراهيم: **مزاب بلد كفاح** ،مطبعة الآفاق ،بني يزقن –غرداية –الجزائر ،2013-2014م.

- قزريط موسى :**الأوقاف بوادي مزاب تنوباوين نموذجا مشروعيتها كيفية أدائها** ،ط2، 2016م.

- قشار بلحاج : **عوائد ميزاب سنن لا تقاليد** ،1994م.

- كعباش مُحَمَّد سعيد ،**العطف تاجنينت** ،نشر جمعية ألفية العطف ،العطف-غرداية ،1996م.

- مجموعة مؤلفين :**معجم أعلام الإباضية** ،ج1,2,3,4، ط1 ،دار الغرب الإسلامي ،جمعية التراث ،القرارة-غرداية-الجزائر،1999م.

- معمر علي يحي: **الإباضية في موكب التاريخ ،الحلقة الرابعة الإباضية في الجزائر** ،ط3،تصحيح: أوبكة عمر،مكتب الضامري للنشر والتوزيع ،سلطنة عمان ،2008م.

- ناصر بالحاج :**النظم والقوانين العرفية بوادي مزاب في الفترة الحديثة** ،نشر جمعية التراث ،الجزائر ،2018م.

- ناصر مُحَمَّد :**حلقة العزابة ودورها في بناء المجتمع المسجدي دراسة وصفية تحليلية للمجالس الدينية بوادي مزاب جنوب الجزائر**، جمعية التراث ،القرارة-الجزائر،1989م.

4- الرسائل الجامعية :

-بابانجار الياس :**النسخ والنساخ بوادي مزاب خلال الفترة الحديثة** ،جامعة غرداية ،الجزائر 2022م.

- بن زكري حمو :**منشآت الري التقليدية بمنطقة وادي مزاب قصر غرداية نموذجا دراسة اثرية** ، مذكرة ماجيستير، جامعة الجزائر 2 ، معهد الآثار 2015م.

- بوراس يحي :**العمارة الدفاعية في منطقة وادي مزاب، نموذج قصر بني يزقن**، رسالة ماجيستير ،جامعة الجزائر، قسم الآثار ،2001-2002م.

- بوعلجية فتحي: **كتاب الهوية الصلبة رسائل من جربة وغرداية**، كلية العلوم الشرعية، سلطنة عمان ، مكتبة مسقط ،سلطنة عمان ،2009م.

- خنفر يوسف :**شرح الأجرومية تأليف ابي القاسم بن يحي بن أبي القاسم الغرداوي المصعبي (ت 1102هـ) تحقيق ودراسة** ،مذكرة ماجيستير ،جامعة قاصدي مرباح ،ورقلة-الجزائر،2010م.

- دودو مصطفى :**النظام التقليدي لتقسيم مياه السيول بوادي ميزاب** ، مذكرة لنيل شهادة ليسانس ،معهد الآثار، جامعة الجزائر،2009/2008م.

- زدك إبراهيم :**الحركة العلمية في منطقة وادي ميزاب ما بين القرنين 10-13هـ/16-19م**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر ،جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس ،2018م.

- زعابة عمر :**آليات وطرق حفظ وتسيير تراث المبني في وادي مزاب**، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ والآثار ،جامعة أبي بكر بالقايد ، تلمسان ،الجزائر ،2016م.

- معروف بلحاج :**العمارة الدينية الاباضية بمنطقة وادي مزاب من خلال بعض النماذج** ،اطروحة دكتوراه في تاريخ العمارة الاسلامية، جامعة ابي بكر بلقايد ،تلمسان،2002م.

- وينتن مصطفى: **آراء الشيخ مُحَّد بن يوسف اطفيش العقدية**، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير، جمعية التراث القرارة-الجزائر،1996م.

5-المجلات والدوريات :

- بوراس يحي :**الحياة الثقافية في منطقة مزاب خلال العصرين الوسيط والحديث** ،مجلة الواحات للبحوث والدراسات ،العدد 17،جامعة غرداية-الجزائر،2017م.

- بوراس يحي :**الحياة الفكرية والثقافية بمنطقة مزاب في القرنين 9-10هـ/15-16م ،مخطوط أجوبة الشيخين :سعيد الجربي وعيسى المصعبي أنموذجا**، مجلة المنهاج ،العدد2، ج.أ.إ.ط.خ.ت ،غرداية-الجزائر ،2013م.

- بوعروة بكير وآخرون :**نظام تقسيم السيول في غرداية بوادي مزاب ساقية (بوشمجان أنموذجا)**، مقال في: Rimak internationl journal of humanities and social sciences ، تاريخ النشر2023/04/13م.

- سعدو تالية: **الحركة الفكرية بالدولة الرستمية و إسهام المرأة الاباضية فيها** ،مجلة عصور الجديدة ،العدد1، 2011م.

6- أشرطة سمعية وبصرية :

- شريط مسجل : **ذكرى المشايخ لطبعته الثانية** ، الأستاذ الحاج موسى بشير، الشيخ حمو والحاج ،22 أفريل 2018م.

-شريط عمي سعيد حمو، **موسم الزيارة** ،1986م.

-شريط مسجل: الحاج سعيد مُحَّد : **نظام تقاسيم المياه بواحات تغردايت**، إضاءات 04 ، مؤسسة الضياء،2017 م.

7- المصادر والمراجع باللغة الأجنبية :

- André Ravéreau, Ie M'zab,une leçon d'architecture ,ed:sindbad, paris,1981.
- Coÿne A.: Le Mzab/In/ R.A., V23, 1879.

-Claude Pavard ,Lumiéres du Mzab ,Editons Delroisse , Algerie , 1974.

- E.Feliu,etude sur la législation des eaux dans la chebka du mzab ,imprimerie administrative A.MAUGUIN,place d’armes BLIDA, 1908.

-Eugéne daumas, le sahara algérien études géographiques, statistiques et historiques, alger ,dubosfréres ,rue bab-azoun.1945.

فهرس الأعلام

العلم	الصفحة
أبا بكر بن يحي	27
أبا عبدالله مُحَمَّد بن عمرو بن ابي ستة الجربي السدويكشي المشهور بالمحشي	36-35
إبراهيم أبو اليقظان	71-68-53-48-13
ابن أجروم	69-16
ابن غانية الميروقي	24
ابن يوسف السلطان	71-50
أبو الربيع سليمان ابن عبدالله الصدغياني	47
أبو العباس أحمد بن مُحَمَّد بن بكر الفرسطائي	31
أبو القاسم بن مُحَمَّد بن أبي القاسم	56-55-40
أبو القاسم سعد الله	44-30
أبو راس الناصري	20
أبو زكرياء يحي بن أبي بكر	20
أبو زكرياء يحي بن صالح الأفضلي	58-57-37
أبو عبدالله مُحَمَّد بن بكر الفرسطائي النفوسي	25-28-27-26
أبو عبدالله مُحَمَّد بن زكرياء الباروني	35
أبو عزيز بن ابرهيم	65
أبو يحي التلمساني	35
ابوعمرن موسى بن مُحَمَّد التجنيني المصعبي	47
أبي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني	26-20
ابي القاسم البرادي	73-72-28
أبي القاسم بن يحي	68-63-49-48-38-35
أبي زكرياء بن أبي مسور	27

أبي زيد ابن أبي ستة الجربي	71-69-68-50
أبي نوح سعيد بن زنغيل	27
أحمد الفاسي	35
أحمد بن أبي القاسم	39
أحمد بن داود بن موسى بن إسماعيل بن عيسى المصعبي	32
أحمد بن سليمان بن عبدالله العماني	65-63-62
أحمد توفيق مدني	34-33
أحمد نجار	37
أفلح بن عبدالوهاب	80
با مُحَمَّد أبو سحابة المشهور ب عبدالله بن مُحَمَّد بن ابي سحابة المصعبي	86-35
بابا و يونس	58
بابكر بن مسعود الغرداوي	58
باسه بن موسى بن الحاج داود الورجلاني	54-53-50
باكه بن صالح	54
بالحاج داود	87
براهيم بن بيحمان	58
بشير الحاج موسى	72-40-39
بعمور بن الحاج مسعود	54-53-41
بيار روفو (Pierre roffo)	21
حسن الوزان	22
داود بن إبراهيم طباخ	84
زكرياء بن أفلح الصدغياني	72-62
سالم بن يعقوب	77
سعيد بن علي الجدوي	50

سعيد بن يحي الجدوي	50-36-56-41
السلطان سليمان	85
سليمان بومريقة	90-89
شقيق البلخي	73
الشيخ بنور	54
صالح بن أبي القاسم	48-47
صالح بن علي اليسجني	45
عامر بن علي الشماخي	63-62
عبدالرحمان بكلي	20
عبدالرحمان بن خلدون	20-19
عبدالعزيز الثميني –ضياء الدين-	57-37
عبدالله المهدي الفاطمي الشيعي	24
عبدالله بن يوسف الأنصاري	73
علي يحي معمر	54-31-28-20
عمر بن صالح	82-81
عمرو بن رمضان الجربي	58
عمي سعيد بن علي الجربي	78-77-57-29
عمي عيسى المكنى بابا والجمة	35
عمير بن جميع	44
عيسى بن أبي القاسم	40
عيسى بن سليمان اليسجني	47
فتح بن نوح أبو نصر النفوسي الملوشائي	63-62
الُقرادي	87
كلود بافارد (CLAUDE PAVARD)	22
مارغريت	31

المازوني	59-64.
مامة بنت أبي القاسم	39
مبارك الميلي	19
مجهول	61-62-65
مُحَمَّد بن أبي القاسم "حمو والحاج"	في أغلب الصفحات
مُحَمَّد بن أيوب الحاج سعيد	38
مُحَمَّد بن سعيد اليسجني	48
مُحَمَّد بن عبدالله بن مالك الطائي	72-73
مُحَمَّد بن عمرو الشهير أمغار المصعبي	36
مُحَمَّد بن يوسف أطفيش	58
مُحَمَّد سعيد كعباش	20
مُحَمَّد علي دبوز	21-30-48
مريم بنت أبي القاسم	39
مسعود بن أحمد	35
موتيلانسكي (MOTYLINSKI)	18
موسى بن ابي سحابة مُحَمَّد المصعبي	36
موسى بن الفضل –باسه وفضل-	37
موسى قزريط	87
هوكي (Huguet)	22
يحي آغا	83
يحي بن الخير الجنوي	62
يحي بن مُحَمَّد بن أبي القاسم المصعبي-الشيخ بابه-	40-57
يعقوب بن أفلح	24
يوسف بن ابراهيم الورجلاني	62
يوسف بن مُحَمَّد المصعبي المليكي –أبو يعقوب-	36

فهرس القبائل والفرق والمذاهب

القبائل والمذاهب	الصفحة
الإسلام	71-70-66-50-42-30-28-22
الإباضية	-43-38-33-26-25-24-20 72-67-63-61-55-51
بني مصعب	-42-36-25-22-21-20-19 80-83-77
بني مزاب	85-84-32-22-21-20-19
العثمانية	34-33
المالكية	74-55
واصلية	25-20
آل نعاليف	89-88-87
البربر	20-19
بني بادين	20-19
زناتة	20-19
أولاد نايل	17
بني توجين	19
بني ريغ	19
بني عبدالواد	19
بني واسين	19
الوثنية	22
الرستمية	24
المعتزلة	25
آل ويرو	36
آل يونس	38
بني جلاب	83
قبائل سعيد عتبة	85

المخادمة	85

فهرس الأماكن والمدن

الأماكن والمدن	الصفحة
أغرم أزوقاغ	22
أغرم نوادي	22
أغلاد أولم	93
الأغواط	85-17
افريقيا	33-25-22
أوخيرة	22
أولوال	22
بابا سعد	22
بابا وعيسى	90
بريان	23
بنورة	54-55-23-22
بني يزقن "بني يسجن"	57-36-22
بوشمجان	92-91-90-89-88-82-81-80
بوشن	92-91-82
بوضريسة	90
بوعزون	22
بوكياو	22
بوليلة	90
تاكضيت	91-90-89
تغزرت	22
تقرت	84
تلزضيت/ قرية الصوف	54-22
توات	34
تونس	53-36-33-28-26
تيرشين	22

تيميزارت	22
جبل التيطري	19
جبل راشد	21
جربة	26-28-32-33-34-35-36-37-46-49-50-51-53-54-56-68-71-74-75-77-78-82-93
الجريد التونسي	28
الجزائر	17-28-31-33-44-68-71
حجيرة	17
حمو عيسى	90
ساحة الشيخ حمو والحاج	43-91-94-96
ساحة سالم وعيسى	97
سجلماسة	36
سدراته	24-25-34
سيدي بنور	54
العطف	22-33-23-54-55
عمان	35-46-49-50-51-58-63-68-71-74-75-79
الغابة	83-86-94
غرداية "تغردايت"	في أغلب صفحات البحث
فرنسا	21-58
فيكيك	21
القرارة	22-23
قورارة	34
لعلية	17
ليبيا	33

مازونة	61
مديونه	21
مصر	93-82-37-36
المغرب الأقصى	35
مقبرة الشيخ بابا صالح	41
مليكة	36-23-22
موركي	22
موش	90
نفوسة	63-35-34-32-28-25
واد نسا	17
وادي بالوح	17
وادي زرقون	17
وادي زقرير	17
وادي سوف	83
وادي متليلي	17
وادي مزاب	في أغلب صفحات البحث
يحي فرضاس	90

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات	الصفحة
المقدمة	08
الفصل الأول :حياة الشيخ مُحَمَّد بن أبي القاسم المصعبي	
المبحث الأول :وادي مزاب ما بين القرنين (11-12هـ-17-18م)	16
المبحث الثاني :مولده ،نسبه، وفاته	37
المبحث الثالث :حياته العلمية	43
الفصل الثاني :الآثار العلمية للشيخ مُحَمَّد بن أبي القاسم المصعبي	
المبحث الأول : تلاميذه	53
المبحث الثاني : آثاره العلمية في الشريعة وعلومها	59
المبحث الثالث : آثاره العلمية في اللغة ومختلف الفنون	67
الفصل الثالث : الآثار الاجتماعية والعمرانية للشيخ مُحَمَّد بن ابي القاسم المصعبي	
المبحث الأول :مهامه الديني وأثره الاجتماعي	77
المبحث الثاني :تطويره لنظام تقاسيم المياه	85
المبحث الثالث :حضوره في الذاكرة الجماعية بوادي مزاب	93
الخاتمة	100
الملاحق	103
قائمة المصادر والمراجع	118
فهرس الأعلام	128
فهرس القبائل والفرق والمذاهب	134
فهرس الأماكن والمدن	137
فهرس الموضوعات	141
ملخص البحث باللغة العربية	143
ملخص البحث باللغة الإنجليزية	144

الملخص:

يعد موضوع دراسة تراجم وسير الشخصيات التاريخية العلمية الفاعلة في مجتمعاتها ،العمود الفقري لتقييم وتقويم المسار الحضاري لتلك المجتمعات ،وموضوعنا عن شخصية الشيخ مُحَّد بن أبي القاسم بن يحي المصعبي الإباضي الجزائري (ت:1129هـ/1716م) من تلك الشخصيات البارزة بوادي مزاب الذي عرف بتنظيماته الدينية على رأسها هيئة العزابة وغيرها ، التي كان لها تأثيرا مباشرا في النشأة العلمية والاجتماعية التي أوصلته ليتصدر مشيخة الوادي و يعرف في الأقطار البعيدة كوارجلان و جربة و عمان وهذا ما انعكس فيما ترك من بصمات واضحة وآثار راسخة في المجال العمراني بإبداعه وتطويره لنظام فريد من نوعه عالميا وهو نظام تقاسيم مياه السيول بواحات قصر غرداية، بالإضافة الى ما ترك من إرث ثقافي متجذر في الذاكرة الجماعية للمجتمع المزابي الذي يظهر في بعض المناسبات الدينية والاجتماعية ،كما أنه برز في الجانب العلمي بما ترك من تراث قيم في عدة مجالات ما يزال أغلبه مخطوطا، وأفواج من الطلبة المتخرجين على يده من مختلف قصور وادي مزاب التي ساهمت في إعادة بعث الروح العلمية و العمل الاجتماعي بها. إن مكانته العلمية و الاجتماعية أهلته للتصدي للأخطار المحدقة بالوادي من فتن داخلية و تهديدات خارجية .

الكلمات المفتاحية :مُحَّد بن أبي القاسم ،وادي مزاب ،العزابة ،وارجلان ،جربة ،نظام تقاسيم المياه.

Abstract:

The study of the translations and biographies of influential historical scientific figures in their societies constitutes the backbone for evaluating and assessing the civilizational trajectory of those societies. Our focus is on the personality of Sheikh Muhammad ibn Abi al-kacem ibn Yahya al-Mus'abi al-Ibadi algerian (d. 1129 H/1716 G), one of the prominent figures of Wadi Mzab known for his religious organizations, including the Azaba Council and others. These organizations had a direct impact on the scientific and social development that led him to lead the leadership of the valley. He was known in distant regions such as Warjilan , Jerba, and Oman, which is reflected in the clear imprints and entrenched effects in the urban field through his creativity and development of a unique global system, namely the system of dividing flood waters in the oases of Ghardaia Palace. Additionally, his cultural legacy rooted in the collective memory of the Mzab society appears in certain religious and social occasions. He also excelled in the scientific aspect through the valuable heritage he left in several fields, most of which are still manuscripts, and through the waves of students graduating under his guidance from various palaces of Wadi Mzab, contributing to reviving the scientific spirit and social work therein. His scientific and social status qualified him to confront the dangers facing the valley from internal seditions and external threats.

Keywords: Muhammad ibn Abi al-kacem, Wadi Mzab, Azaba Council, Warjilan, Jerba, water allocation system.

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université de Ghardaïa
Faculté des Sciences
humaines et sociales
Département d'histoire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة غرداية
كلية العلوم الاجتماعية والانسانية
قسم التاريخ

إذن بالإيداع

(لتقييم مذكرة ماستر)

أنا الممضي أسفله الأستاذ(ة): بلحاج ناصر

الرتبة: القسم: التاريخ

المشرف على مذكرة الماستر للطلبة الآتية أسماؤهم:

-الطالب (ة): عوج عبد الصمد ..... رقم التسجيل: 19193908822.93

-الطالب (ة): أصمير محمد ..... رقم التسجيل: 202323901555A

تحت عنوان: الشيخ محمد بن أبي القاسم المحجي وآثاره العلمية والاجتماعية (1316هـ - 1396هـ / 1045 - 1129م) بوادي مزاب

المقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص: تاريخ المغرب العربي الحديث

أشهد أن الطالب (الطالبين) قد أتم تحرير مذكرته، وأخذ بعين الاعتبار مجمل التوجيهات المقدمة له

وبناء عليه أوافق على تقديم العمل المذكور أمام لجنة المناقشة والتقييم وفق المعهود في المذكرات والرسائل الجامعية

غرداية في 2024/05/30

إمضاء وختم الأستاذ(ة) المشرف(ة):

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة غرداية
كلية العلوم الاجتماعية والانسانية
قسم التاريخ

Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique
Université de Ghardaïa
Faculté des Sciences humaines et sociales
Département d'histoire

غرداية في: .....

تصريح شرفي بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز مذكرة الماستر

أنا الممضي أدناه:

السيد، الآنسة (ة) .....الصفة: طالب (ة)

الحامل لبطاقة التعريف رقم: .....الصادرة بتاريخ: .....

المسجل في كلية العلوم الاجتماعية والانسانية بقسم التاريخ تحت رقم .....

المكلف بإنجاز مذكرة الماستر تحت عنوان:

.....

.....

.....

صرح بشرفي أن ألتزم بمعايير النزاهة العلمية والمنهجية وقواعد الأخلاقيات المهنية والضوابط الأكاديمية المطلوبة في إنجاز البحث المذكور أعلاه

شهد بصحة امضاء او بصمه

.....

مصادقة البلدية

التاريخ ..2024..05...16..

إمضاء المعني (ة)

أنظر ملحق القرار رقم 1082 المؤرخ في 27 ديسمبر 2020 الذي يحدد القواعد المتعلقة بالسرقة العلمية ومكافحتها الصادر من طرف وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة غرداية
كلية العلوم الاجتماعية والانسانية
قسم التاريخ

Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique
Université de Ghardaïa
Faculté des Sciences humaines et sociales
Département d'histoire

غرداية في: .....

تصريح شرفي بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز مذكرة الماستر

أنا الممضي أدناه:

السيد، الآنسة (ة) ..أمسير محمد.....الصفة: طالب (ة)

الحامل لبطاقة التعريف رقم: ..2015027739.....الصادرة بتاريخ: ..2017.05.04.....

المسجل في كلية العلوم الاجتماعية والانسانية بقسم التاريخ تحت رقم ..202323901055.

المكلف بإنجاز مذكرة الماستر تحت عنوان:

.....الشيخ محمد بن ابي القاسم الحفيظي واسهاماته العلمية والاجتماعية.....
.....بوادي مزاب من 1045 الى 1229 / 635 الى 1813 م.....

سرح بشرفي أن ألتزم بمعايير النزاهة العلمية والمنهجية وقواعد الأخلاقيات المهنية والضوابط الأكاديمية المطلوبة في انجاز البحث المذكور أعلاه أو نصه :

.....

.....الموقع أمامنا.....
ع داسه يوم 26 ماي 2024
مصادقة البلدية
رئيس المجلس الشعبي البلدي
ساعة ماكنش مسموح

التاريخ ..2024/5/26.....

إمضاء المعني (ة)

أنظر ملحق القرار رقم 1082 المؤرخ في 27 ديسمبر 2020 الذي يحدد القواعد المتعلقة بالسرقة العلمية ومكافحتها الصادر من طرف وزارة التعليم العالي والبحث العلمي